المنحى البلاغي
لنقد ابن وكيع التنيسي
في كتابه المنصف

إعداد الدكتور
عبد الرحمن أحمد عبدالله المقري

تقـــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصـــــلاة والســـلام علـــى أشـــرف المرسلين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعـــــد

فلقد حظى كتاب (المنصف) لابن وكيع التنيسي بمكانة ممتازة وسط الكتب النقدية شرقاً وغرباً على حد سواء ، وقد هيأت له تلك المكانة عوامل بعضها راجع إلى المؤلف وذوقه الأدبي ، وشخصيته الموسوعية المتعددة الجوانب ، وبعضها راجع إلى منهج الكتاب وطريقة عرضه.

ولقد دفعني إلى اختيار هذا الكتاب هو الإيمان بعظمة التراث ودوره في حياة الأمم والشعوب ، ودوره في الكشف عن فكر الأجيال السابقة، وتصورهم للأمور وإدراكهم لها، ويطلعنا على تفكيرهم ، ويشف عن خصائص هذا التفكير ، ويكشف في أمانة عما أضافوه من فكر ، وما أيدوه من رأي ، فنتبصر بأفكارهم ، ونستنير بآرائهم ، فأي أمة تود لنفسها العظمة والبقاء لابد من وعي وتفهم ومعايشة لما قدم الأجداد ، وهذا لا يكون إلا بالتراث ومن خلاله.

ولقد قسمت البحث ثلاثة مباحث يسبقها تقديم وتمهيد ، ويتبعها خاتمة وفهرسان أولهما للمصادر والمراجع ، وثانيهما للموضوعات .

- **التمهيد** : جعلت الحديث فيه يدور حول محورين ، أولهما : بعنوان "ابن وكيع وكتابه المنصف"

وفيه ترجمت بإيجاز للمؤلف ، وكشفت عن كتابه (المنصف) وهو المؤلف المنوط به البحث ، وثانيهما جاء بعنوان "البديع عند ابن وكيع"

وتتبعت من خلاله مصطلح (البديع) منذ ظهوره وحتى تحديد مدلوله عند البلاغيين .

- **المبحث الأول** : علم المعاني ، وفيه تحدثت عن الإطناب والالتفات ، وهما الفنان البلاغيان اللذان عرض لهما ابن وكيع .
- **المبحث الثاني** : علم البيان ، وتحدثت فيه عن التشبيه ، والاستعارة ، والإشارة ، والتتبيع وهي الموضوعات التي ذكرها ابن وكيع في لمحاته النقدية .
- **المبحث الثالث** : علم البديع : ومن خلاله عرضت أهم الألوان البديعية التي وردت في (المنصف) من خلال رؤية تنظيرية تطبيقية.
- **الخاتمة**: وفيها عرضت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ، وأتبعتها بفهرسين أولهما للمصادر والمراجع ، وثانيهما للموضوعات.

والله أسأل أن يحسب عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يجعله في ميزان حسناتي ، وأن يعوضني قدر ما بذلت من جهد ، وما تحملت من عناء ورهق ، فهو خير من سئل ، وأكرم من أعطى .

تمهيد

أولا : ابن وكيع وكتابه المنصف

مولده وثقافته :ـ

ولد ابن وكيع في تنيس[١] ، وعلى أرضها نشأ، وفي ربوعها درج ، فانتسب إليها ، ولقب بها وطغت على أسماء آبائه وأجداده ، حتى أنه عرف في التاريخ باسم (ابن وكيع التنيسي)

وقد ذكرت معظم الكتب التاريخية والأدبية التي تناولت حياته وترجمت له على أنه أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدفة بن زياد الضبى ، المعروف بابن وكيع[٢].

نشأ في أسرة عريقة حسباً وعلماً ، فجده لأبيه كان من أعيان علماء اللغة والشرع والتاريخ ، وصفه ابن خلكان بأنه "كان فاضلاً نبيلاً فصيحاً ، من أهل القرآن ، والفقه ، والنحو ، والسير ، وأيام الناس، وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة"[٣].

أما والده علي بن أحمد ، فكان أديباً ، عالما بالعربية، راويا للأشعار ، حافظاً لها ، صاحب مكانة مرموقة ، حيث جالس كبار علماء

---

(١) بكسرتين وتشديد النون ، وياء ساكنة ، وسين مهملة ، جزيرة في بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفرما ودمياط ، ينظر / معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر بيروت ، ج٢ صـ٥١.

(٢) وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ،ج١ صـ٣٧٧.

(٣) ينظر / السابق ، ج١ صـ ٣٨٠.

وشعراء عصره كابن دريد ، وأبي بكر الصولي ، وابن الرومي ، ..... وغيرهم ، وهذا ما يؤكده ابن وكيع في كتابه (المنصف) [١].

ومع أن أغلب كتب التراجم قد ترجمت لابن وكيع، إلا أنها جميعاً قد اتفقت على عدم تحديد السنة التي ولد فيها ، حتى الذين اضطلعوا بتحقيق الكتاب لم يقفوا على تاريخ ميلاد له ، شأنهم في ذلك شأن السابقين، إلا أن إسماعيل البغدادي صاحب (هدية العارفين) قد اجتهد في تحديد ميلاده ، وذكر أن مولده كان في سنة ثلاثمائة وست من الهجرة [٢].

ومن العسير بل من المتعذر أن نعثر على مرجع يمدنا بتفاصيل المرحلة الأولى من حياة ابن وكيع، وهذا أمر طبيعي ، فالتاريخ لا يعني إلا بتسجيل حياة من ولد في مهد الملك، أو من كان له دور مؤثر في الحياة العامة بعد بلوغه مرحلة سنية تؤهله إلى ذلك ، فلا غرابة إذن أن يهمل التاريخ هذا الطور المبكر من حياة صاحبنا ولم يحفل به، ومعلوم أن ابن وكيع ليس من هؤلاء ولا هؤلاء ، وإنما نشأ كما ينشأ غيره من الناس ، وتدرج في مراحل الحياة كما يتدرج سواه.

وكما صمتت كتب التراجم عن الحديث عن حياته ، فقد صمتت كذلك عن أساتذته الذين كان لهم فضل في تعليمه وتأديبه، ولولا أن ابن

---

(١) ينظر المنصف في نقد الشعر ، وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، ابن وكيع التنيسي ، تح : د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة (دمشق) صـ٢١٧ ، ٣٠٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٨.

(٢) ينظر / هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر (بيروت) طبعة (١٩٨٢م) ج١ صـ٢٧٣.

وكيع ذاته قد أشار في مواضع من كتابه (المنصف)[١] إلى أنه تتلمذ على يدى أبي الحسن المهلبي (ت ٣٨٠هـ) ما كنا لنعرف شيئاً عن أستاذه هذا.

منزلته الأدبية :ـ

يعد ابن وكيع من الشعراء المرموقين المعروفين بشعرهم الرقيق، المتعدد الأغراض ، ومن النقاد الذين أثروا الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري، وشاركوا في معالجة أهم القضايا النقدية واتجاهاتها ، وكانت آراؤه محل تقدير واعتبار عند النقاد ، وخاصة من اطلع منهم على كتابه (المنصف) كابن رشيق القيرواني ، والثعالبي، والصفدي ، والشريشي ، ويوسف البديعي وغيرهم ممن التقطوا بعض آرائه ، وأوردوها في سياق معالجتهم لبعض القضايا النقدية.

أما عن أخلاقه ، فما كتب عنه في كتب الأدب والتراجم ، وما بقي لنا من شعره ينم على أنه كان كثير اللهو والسرور ، في شعره يدعو كثيراً إلى الشرب والمسرة والمجون[٢] ، وأنه على حظ كبير من الظرف وخفة الروح وحلاوة الدعابة والفكاهة ، ولا أدل على هذه الروح الطريفة المرحة مما جاء في تعليقه على بيت المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ١٥٢.

(٢) ينظر ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر ، د. حسين نصار ، مكتبة مصر (١٩٥٣م) .

بأنه " لولا انتهاء القافية لمضى في العارض الهتن إلى آدم عليه السلام، وبانتهاء وزن البيت أعلمنا أن نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ، ثم يقف هذا الأمر" (١).

وظل ابن وكيع علماً من أعلام الأدب العربي ، ورائداً من رواد النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ومركز إشعاع ثقافي في مصر ، حتى أتاه أجله "يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادي الأولى ، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة من الهجرة، بمدينة تنيس ، حيث دفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له، رحمه الله تعالى"(٢).

ولقد خلف ابن وكيع آثاراً علمية وأدبية ، ومع أن معظمها يعتبر مفقوداً أو في حكم المفقود ، إلا أن ما بقي منها يدل على سعة أفق صاحبها واطلاعه الواسع ، ودرايته بفن الأدب ، وخبرته بالنقد وأصوله ، منها (ديوان شعره) و(كتاب الإخوان) ، و(نظم الدر والعقيان) ، و (أنس السمير في نوادر الفرزدق وجرير) ، و (كتاب المنصف) ، ويعد الأخير أهم كتبه وأشهرها على الإطلاق(٣).

كتاب المنصف:

يعد (كتاب المنصف) واحداً من أهم الكتب الأدبية والنقدية التي ألفت في القرن الرابع الهجري ، ومع أنه قد عنى بنقد شعر المتنبي فإنه

---

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٦٤٩.

(٢) وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج١ صـ٣٧٩.

(٣) ينظر / يتيمة الدهر، الثعالبي ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى (١٩٧٩م) ، ج١ صـ٣٥٦، معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، دار المأمون (مصر) ط (١٩٣٦م) ، ج٧ صـ١٧٥ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة ، دار الفكر ، ج٢ صـ١٨٦٢.

حفل بالعديد من القضايا النقدية التي تمثل جانباً مهماً في الدراسات الأدبية والنقدية ، وهو بلا شك إضافة حقيقية لها قيمتها في المعركة الأدبية حول المتنبي.

وهذا الكتاب بلا شك يمثل رأي شاعر بارع ، وعالم ناقد ، في الرد على دعاوى المتعصبين لأبي الطيب المتنبي ، والمسرفين في مدحه وتعظيمه، والمنزهين شعره عن العيب والخطأ ، والمقدمين لمعانيه على أقوال معاصريه وسابقيه .. وإن كان قد كثر الحديث حول سبب تأليف هذا الكتاب.

والكتاب طبع ثلاث مرات بتحقيقات مختلفة ، الأولى بتحقيق الدكتور رضوان الداية تحت عنوان "المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره" ، ونشرته دار قتيبة بدمشق سنة (١٩٨٢م) في مجلد واحد ، والثانية بتحقيق حمودي زين الدين بعنوان (المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي) ونشرته عالم الكتب ببيروت سنة (١٩٩٣م) في مجلدين ، والثالثة بتحقيق الأستاذ عمر خليفة بن إدريس ، تحت عنوان "كتاب المنصف للسارق والمسروق منه" ونشرته جامعة قريونس في بنغازي بليبيا سنة (١٩٩٤م) في مجلدين.

وقد يثير اختلاف المحققين في عنوان الكتاب بعض الجدل في الأوساط الأدبية، لأن في العناوين التي وضعوها زيادة واختلافاً عما وضعه ابن وكيع نفسه ليكون عنواناً لمؤلفه ، فقد قال: "ولقبنا كتابنا (المنصف) لما قصدنا من إنصاف السارق والمسروق منه "[١] وبه ورد

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٤٨.

في معظم الكتب القديمة أمثال (العمدة)[١]، و(وفيات الأعيان)[٢] ، و (الصبح المنبي)[٣] .

غير أن الشريشي في شرحه على (مقامات الحريري) قد قرن العنوان بإضافة فقال : "المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي[٤] " فأوهم غيره أن تلك

الإضافة من عنوان الكتاب ، فجاء في (كشف الظنون)[٥] ، وفي (هدية العارفين)[٦] على هذا الشكل ، غير أن بعض المؤرخين المحدثين قد تنبهوا إلى صحة العنوان أثناء إشاراتهم عن الكتاب ، فأطلقوا عليه اسم (المنصف) اتباعاً لابن وكيع ، أمثال الزركلي[٧] وعمر فروخ[٨].

وأرى أن عنوان الكتاب جزء لا يتجزأ منه ، وليس لأحد حق الاجتهاد في أن يزيد أو ينقص من العنوان ، طالما أن له وجوداً في

---

(١) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية (مصر) ج٢ صـ٢٨١.

(٢) وفيات الأعيان ، ابن خلكان ،ج١ صـ ٣٧٦.

(٣) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف (مصر) صـ٢٦٨.

(٤) شرح مقامات الحريري، الشريشي ، طبعة بولاق (مصر) الطبعة الثانية ، ج١ صـ٣٥٢.

(٥) كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ج٢ صـ١٨٦٢.

(٦) هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، ج١ صـ٢٧٣.

(٧) الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين (بيروت) ط١١ ، ج٢ صـ٥٨١.

(٨) تاريخ الأدب العربي ، د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين (بيروت) ط٢ ، ج٢ ، صـ٥٨١.

الكتاب نفسه ، وقد نص المؤلف عليه ، وهذا ما فعله ابن وكيع حين أكد على أن عنوان مؤلفه هو (المنصف) ، دون أية إضافات أخرى .

أما عن منهج الكتاب ، فقد حرص ابن وكيع على أن يبين للقارئ المنهج الذي سار عليه في تأليف كتابه من خلال ما أثبته في المقدمة، فبدأ بالسرقات في باب أسماه "باب تفسير وجوه السرقات" وقال : "وينبغي إذا عملنا على تسليم ماله من السرقات إليه، ورد المقصر منها عليه ، أن أثبت لك وجوه السرقات: محمودها ومذمومها ، وصحيحها وسقيمها ، وأعرفك ما يوجب للسارق الفضيلة ، وما يلحقه الرذيلة ؛ ليكون ما نورده له وعليه مقيساً على أس قد أحكمناه ، ونهج قد أوضحناه"(١).

وبعد أن فصل القول في السرقات ، تحدث عن البديع فقال : "واعلم أن المحدثين قد أكثروا العجب بنوع من الشعر سموه البديع ، وظنوا أنهم أول من اخترعه ، وسبق إليه وابتدعه ، ولم يخترعوه ولا ابتدعوه، بل لعمري قد صيروه كثيراً ، بعد أن كان نزراً يسيراً ، فتوهموا بكثرته في أشعارهم أنهم سبقوا إليه، واستدلوا عليه ، وكذلك أنا أدل على سبق المتقدمين إلى معرفته ، وتقدمهم في صنعته، وقد قسموه أقساماً ، ونحلوه ألقابا بك حاجة إلى معرفتها " (٢).

ثم انتقل إلى صلب الكتاب حيث الحديث عن شعر أبي الطيب ، وما وقع فيه من سرقات، فقال : "قد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر فائقه ومقصره ، وأطلعتك على سرائر رذله

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥.

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٤٨ ، ٤٩

ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بعدل . ثم قد حسن الآن أن أورد ما قدمت الوعد به من شرح ما أخذه أبو الطيب ، ولا أشرح إلا ما يقع فيه المعنى الذي لو كان له وقع بمثله جماله وحسن به مقالـــه ، أو ما قارب ذلك ، فأما الأبيات الفارغات والمعاني المكررات المرددات ، فإني لا أشتغل بإراداها، ولا أطيل الكتاب باعتمادها ..[١].

وليحقق ابن وكيع هذا الهدف نراه يقف أمام القصيدة بيتاً بيتاً ، ولا يدع البيت حتى يستخرج له نظيراً مأخوذاً منه ، وقد يـــورد للبيـــت الواحد من أبيات المتنبي أكثر من بيت لشعراء آخرين قدماء ومحدثين ، مشيراً إلى التوافق بين بيت المتنبي والأبيات الأخـــرى المنـــاظرة لـــه ، وطريقة أخذ المتنبي من معاني هؤلاء الشعراء .

(١)المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٨٥ .

ثانيا : البديع عند ابن وكيع

تدور مادة البديع كما جاء في اللسان حول : بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه ، وابتدعت الشيء: اخترعته على مثال ، والبديع : المبدع ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، وهو المبدع الأول قبل كل شيء ، والبديع الجديد [١].

أما عند علماء البلاغة فقد حدث اختلاف حول المقصود بمصطلح البديع بين المتقدمين منهم والمتأخرين ، فالمتقدمون يتوسعون في مفهوم هذا المصطلح ، فيطلقونه على معظم الفنون البلاغية المعروفة، فيدخل في مفهومه التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والالتفات ، وصور الإطناب ، بجانب ما عرف بالمحسنات البديعية في المباحث البلاغية[٢].

أما المتأخرون من البلاغيين فيقصرون مصطلح البديع على المحسنات البديعية التي ذكرها السكاكي والخطيب وغيرهما ، فلا يدخل في هذا المصطلح عندهم الفنون البلاغية التي تدرج في مباحث علم البيان ، وكذلك ما كان من مباحث في علم المعاني [٣].

---

(١) ينظر / لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة دار المعارف ، مصر ، مادة (بدع)

(٢) ينظر في ذلك : البيان والتبيين للجاحظ ج١ ، ج٤ ، وكتاب البديع لابن المعتز ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق ج١ ، وأسرار البلاغةلعبد القاهر الجرجاني .

(٣) ينظر في ذلك : الإيضاح والتلخيص للقزويني ، والمطول للتفتازاني ، والمصباح في علم المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك.

ومصطلح البديع لم يكن قد تحدد مدلوله قبل ابن المعتز ، فمسلم بن الوليد الشاعر أطلقه على الألوان الساحرة في الأسلوب ، والترف البياني في الأداء[١]، وأطلقه الجاحظ على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية ، وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشاعر في أشعاره ، فتزيدها حسناً وجمالاً [٢].

وجاء ابن المعتز فحصره في خمسة أبواب رئيسية هي : الاستعارة، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي ، وماعدا ذلك فهو نوع من محاسن الكلام والشعر وهي كثيرة ، وذكر من المحاسن ثلاثة عشر نوعاً [٣].

أما ابن وكيع التنيسي فقد أطلق لفظ البديع على كل الألوان الساحرة من تشبيه ، واستعارة ومحسنات ، فهو يشمل عنده الفنون البلاغية التي درسها هو وغيره من البلاغيين ، فالمصطلح عنده واسع المفهوم يتناول الألوان البلاغية على وجه العموم وهو في ذلك لا يخرج عن طريقة سابقيه ولا معاصريه من علماء البلاغة الذين أطلقوا هذا المصطلح على معظم الفنون البلاغية.

وهو مؤمن بأن فنون البديع قديمة وموجودة في الشعر العربي منذ وجوه ، طرقها الشعراء العرب بفطرتهم ، وتناثرت في أشعارهم

---

(١) ينظر : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، د/ محمد عبد المنعم خفاجي – دار العهد الجديد للطباعة ، ط٢ صـ (٦٠٠)

(٢) ينظر / البيان والتبيين ، الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة الذخائر ، ج٤ صـ٥٥ .

(٣) ينظر كتاب البديع ، ابن المعتز ، اعتناء (اغناطيوس كراتشقوفسكي) ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٣ (١٩٨٢م) ، صـ٥٨.

عفو الخاطر دون تكلف أو تعمل ، ودون معرفة بمصطلحاتها ، أو دراية بأسمائها التي أطلقت عليها بعد ظهور علوم العربية ونهضتها(١).

وفي العصر العباسي توسع الشعراء المحدثون في فنون البديع ، وأكثروا منها في أشعارهم ، وادعوا أنهم مخترعون لها ، وسابقون إليها ، ووقف النقاد مدافعين عن أصالة البديع ، ومؤكدين وجوده في الشعر العربي القديم .

ومن بين هؤلاء النقاد ابن وكيع التنيسي ، فقد دافع في كتابه (المنصف) عن قدم البديع ، وبين أن المحدثين لا فضل لهم في اختراعه ولا ابتداعه، وإنما أكثروا منه في أشعارهم ، وتعمدوا الإتيان به ، فظنوا أنهم قد ابتدعوه ، وهم واهمون في ذلك، فيقول :"واعلم أن المحدثين أكثروا العجب بنوع من الشعر سموه البديع ، وظنوا أنهم أول من اخترعه ، وسبق إليه وابتدعه ، ولم يخترعوه ولا ابتدعوه ، بل لعمرى قد صيروه كثيراً ، بعد أن كان نذراً يسيراً ، فتوهموا بكثرته في أشعارهم أنهم سبقوا إليه ، واستولوا عليه ، وكذلك أنا أدل على سبق المتقدمين إلى معرفته، وتقدمهم في صنعته " (٢).

ولكي يدلل ابن وكيع على قدم البديع وسبق المتقدمين إليه جاء في الفنون البلاغية التي عرض لها بأمثلة من شعر القدماء أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد ، والنابغة الذبياني وغيرهم كثير ، وتلاها بأمثلة من شعر المحدثين ؛ ليثبت سبق القدماء في تناول فنون البديع في أشعارهم بصورة فطرية لا تقوم على التكلف أو إعمال العقل.

---

(١) ينظر الصبغ البديعي في اللغة العربية ، د. أحمد إبراهيم موسى ، طبعة وزارة الثقافة ، مصر صـ٢٥ – ٢٧ .

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٤٨ ، ٤٩ .

وابن وكيع برأيه هذا يتابع ابن المعتز في رأيه بالقول بقدم الفنون البديعية ، حيث ذكر في مقدمة كتابه (البديع) قوله : "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن واللغة ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، وكلام الصحابة ، والأعراب ، وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن (يعني البديع) ولكنه كثر في أشعارهم ، فعرف في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه، ودل عليه [١].

وإذا كانت منهجية البحث تستدعي تحديد المصطلحات ، والفصل بينها ، فأنا أميل في هذا البحث إلى السير على مذهب المتأخرين حيث الفصل في الدرس بين علوم البلاغة الثلاثة، إذ من الضروري تأطير كل علم وتحديد مفرداته.

وليس المقصود بالفصل بينها انقطاع الصلة ، فمصطلح "البديع" لا يطبق ولا يعتد به إلا بعد النظر إلى علمي البيان والمعاني، وهذه الرؤية ليست بدعاً ، فقد ذكر (المرشدي) في شرح "عقود الجمان" أن " علم البديع منزلاً من الفنين السابقين يعني البيان والمعاني – منزلة الجزء من الكل ، والنتيجة للمقدمتين، فقد قال أبو جعفر الأندلسي إنه أخص الفنون الثلاثة ؛ لتركبه من الفنين الأولين وزيادة، فهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق بالنسبة إلى الإنسان ، فكما لا يوجد الإنسان بدونهما لا يوجد البديع بدون ذينك الفنين فناسب ذكره بعدهما ؛ إذ لا تعتبر فنونه التي هي وجوه تحسين الكلام محسنة له إلا بعد رعاية

(١) كتاب البديع ، ابن المعتز صـ١

مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته ، أي خلوه عن التعقيد المعنوي وإلا كان ذلك كتعليق الدر على الخنازير" (١).

وقد سبق إلى ذلك "بدر الدين بن مالك" حين أطلق مصطلح البديع على المحسنات ، وعرفه بأنه " معرفة توابع الفصاحة" (٢) ، ولم يبتعد من جاء بعده من علماء البلاغة في تعريفهم للبديع حين ذكروا أنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة " (٣) أي أنه تابع لعلمي المعاني والبيان.

وابن وكيع لم يأت بأنواع جديدة فيما عرضه من ألوان البديع ، وإنما اكتفى بالأخذ عمن سبقه ، مع إعمال فكره وعقله وذوقه في تناولها ، وسنرى ذلك في تتبعها من خلال حديثه عنها.

(١) شرح المرشدي على عقود الجمان ، السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (١٣٤٨هـ) ، ج٢ صـ٧٧ .
(٢) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ، صـ٧٥ .
(٣) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق جماعة من علماء الأزهر (القاهرة) صـ١٢.

المبحث الأول
علـم المعـــاني

معنى كل شيء : محنته وحاله التي يصير إليها أمره ، والمعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا : أردت ، ومعنى كل كـــلام ومعناته ومعنيته : قصدته[١].

وليس لمصطلح (علم المعاني) وجود عند القــدماء ، إذ كـــانوا يستعملون مصطلح (المعاني) فـــي الدراســـات القرآنيـــة والشـــعرية ، فيقولون : (معاني القرآن) و (معاني الشعر) واتخذوا من ذلـــك أســـماء لكتبهم ، وجاءت إشارة (معاني النحو) التي وردت في المنـــاظرة التـــي جرت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى بن يـــونس فـــي مجلـــس الوزير ابن الفرات أقدم إشارة تقرب هذا المصطلح إلى البلاغة[٢].

وجاء في كتاب (الصاحبي) باب (معاني الكلام) ، أن ابن فـــارس قد ذكر أنها "عند أهل العلم عشرة : خبر ، واستخبار ، وأمر ، ونهـــي ، ودعاء، وطلب ، وعرض ، وتحضيض، وتمن ، وتعجب" [٣]، وهي تمثل مباحث الخبر والإنشاء التي أصبحت فيما بعد أهم أبواب علم المعاني.

وعندما قسم السكاكي البلاغة إلى علومها المعروفة أطلـــق مصـــطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر (نظما) ، ويعـــد

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور مادة (عنا)

(٢) ينظر / الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، سلسلة الذخائر ج١ صـــ١٢١

(٣) الصاحبي ، أحمد بن فارس ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، سلسلة الذخائر ، صـــ٢٨٩.

بهذا أول من استخدم هذا المصطلح للدلالة علـــى بعـــض الموضـــوعات البلاغية.

وجاء البلاغيون بعده وأخذوا بهذا المنهج ، وعـــرف القزوينـــي علم المعاني بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بهـــا يطـــابق مقتضى الحال" [١]، وحصر علم المعاني في عدة أبواب عرض ابن وكيع بعضاً منها ، وهي :

١. التتميم:

التتميم فن بلاغي ، أدخله القزويني في علم المعاني وبحثه في الإطناب ، وقال : "هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله تعالى ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ..... ﴿٨﴾ ﴾ أي مع حبه ، والضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه"[٢].

وقد اختلفت الأسماء التي أطلقت عليه ، فالحاتمي سماه (تتميماً) وقال عنه : "هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئاً يتم به ويتكامل الاشتقاق معه فيه إلا أتى به،"[٣] وسماه قدامة – أيضاً – (تتميما) بقوله : "ومن أنواع نعوت المعاني التتميم، وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا

---

(١) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، صـــ١٢.

(٢) الإيضاح ، القزويني ، صـــ٢٠٥.

(٣) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، محمد بن الحسن الحاتمي تحقيق د. جعفر الكتاني (بغداد) ، ج١ صـــ١٥٥.

يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به"[١].

وذكر ابن رشيق أنه يطلق عليه "(التمام) أيضاً ، وبعضهم يسمى ضربا منه (احتراساً واحتياطاً) ، وعرفه بقوله : "أن يحاول الشاعر معنى ، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به ، إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير"[٢].

وعقد له ابن أبي الإصبع باباً باسم (التمام) وقال : "هذا الذي سماه الحاتمي (التتميم) ، وسماه ابن المعتز قبله (اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه) ، ثم يعود المتكلم فيتمه"،[٣] وعقد له العسكري فصلاً سماه (التتميم والتكميل)، وعرفه بقوله : "أن توفى المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره"[٤].

أما ابن وكيع فقد عرض له بإيجاز ، وقال : "ومن محاسن الشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود الشاعر إليه فيتممه مرة واحدة ... ومن أملح ذلك قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها ** صوب الربيع وديمة تهمى

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ط الأولى ، صـ١٥٧.

(٢) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٥٠ .

(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة) ، صـ١٢٧.

(٤) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي وآخر ، الخانجي (القاهرة) صـ٣٧٨.

فقد تمم المعنى بقوله (غير مفسدها) " [١].

وابن وكيع يتحدث عن (التتميم) ، غير أنه لم يضع هذا العنوان في بداية حديثه ليسير في مؤلفه على منهج واحد مثل بقية الفنون التي عرض لها ، ومع أنه لم يذكر التعريف الكامل للتتميم إلا أنه مثل لغرضين من أغراضه التي ذكرها بعض البلاغيين[٢]؛ فذكر قول نافع بن خليفة الغنوي:

رجال إذا لم يقبل الحق منهم **ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وقال : ''فتمم المعنى بقوله (ويعطوه)''[٣] ، والغرض هنا المبالغة في اللفظ.

أما بيت طرفة المذكور فيمثل غرضاً آخر من أغراض التتميم وهو (الاحتراز والاحتياط) ، لأن قول الشاعر (غير مفسدها) تتميم للمعنى واحتراز للديار من الفساد بكثرة المطر.

٢. الايغال (التبليغ)

قال صاحب اللسان : وغل في الشيء وغولاً : دخل فيه وتوارى ، ووغل : ذهب وأبعد ، وكذلك أوغل في البلاد ونحوها ، وتوغّل في

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٣

(٢) ينظر / الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، سلسلة الذخائر ج٣ ، صـ١٠٤ ، والبرهان في علوم القرآن ، بدر الدين بن محمد الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، ج٣ صـ ٧٠ .

(٣) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٣.

الأرض ذهب فأبعد فيها ، أما التبليغ ، فبلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً، وصل وانتهى ، وأبلغه هو إبلاغاً وبلغة تبليغاً[١].

والإيغال فن بلاغي تحدث عنه القزويني أثناء حديثه عن الإطناب ، وسمي أحد أقسامه الإطناب بالإيغال ، وقال عنه : "الإيغال هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بغيرها"[٢].

وجعله قدامة من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت ، وقال في تعيفه: "الإيغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر في أن يكون شعراً إليها ، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت"[٣].

وعقد له أبو هلال العسكري الفصل السادس عشر في الصناعتين وسماه (الإيغال) ، وعرفه بقوله:" وهو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً"[٤].

أما ابن رشيق فقد عقد له بابا سماه (باب الإيغال) ، وقال عنه : "هو ضرب من المبالغة .. إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها ، والحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية"[٥] ، ولكن الحاتمي ذكر أنه يسمى (إيغالاً) أيضاً ، فقد قال: "أبدع ما قيل في (التبليغ) ، وقد سماه قوم (الإيغال) ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادتي (وغل) ، و (بلغ).

(٢) الإيضاح ، القزويني ، صـ٣٦٩.

(٣) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٩٢.

(٤) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٧٠.

(٥) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٥٧.

البيت تاماً قبل انتهائه إلى القافية ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها فتزيد البيت نصاعة والمعنى بلوغاً إلى الغاية القصوى في الجودة"(١).

وأورده ابن وكيع في كتابه المنصف ، وسماه (التبليغ) وقال : إن "من الألقاب المستحدثة (التبليغ) ، وسماه قوم (الإيغال) ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً قبل انتهائه إلى قافيته ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ؛ لأن بها يصير الشعر شعراً ، فيزيد البيت رونقاً، والمعنى بلوغاً إلى الغاية القصوى"(٢).

ومثل له بقوله : "وأبرع ما قيل في ذلك قول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا ** وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية : لأن عيون الوحش إذا ماتت وتغيرت هيئاتها أشبهت الجزع ، ثم احتاج إلى القافية فبلغ الأمد البعيد في التأكيد ، لأنه إذا لم يثقب كان أوقع في التشبيه"(٣).

وعرض ابن وكيع نماذج أخرى، منها قوله : "وحكى ابن دريد قال : قال لي التوزي : قلت للأصمعي : من أشعر الناس؟ قال: من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى . فقال : فقلت نحو من؟ قال : نحو قول الأعشى حيث يقول:

كناطح صخرة يوما ليفلقها ** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

---

(١) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، محمد بن الحسن الحاتمي، ج١ صـ١٥٥.

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٠.

(٣) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٠.

فقد تم الكلام ، فلما احتاج إلى القافية قال : (الوعل) ، فزاد معنى . قال : فقلت له : كيف صار الوعل مفضلاً على كل من ينطح ؟ قال : لأنه ينحط من قلة الجبل على قرونه فلا يضره" [١].

وأتى ابن وكيع بنموذج آخر وقال : "ومن ذلك قول ذي الرمة:

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ** دموعا كتبديد الجمان المفضل

فتم كلامه قبل قوله (المفضل) ، وزاد شيئاً أفاده بالقافية"[٢].

وفرق القزويني بين (الإيغال) الذي هو ضرب من الإطناب ، وبين (التبليغ) الذي أدخله في البديع وعده نوعا من المبالغة التي تنحصر في التبليغ والإغراق والغلو[٣]، وسار شراح التلخيص على خطى القزويني، وهذا بخلاف ما ذهب ابن وكيع والحاتمي حيث وحدا بين المصطلحين.

٣. الاستطراد:

قال صاحب اللسان : اطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً وجرى ، واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً، واطرد الكلام إذا تتابع[٤].

وقيل إن أول من ابتدع هذا الأسلوب السموأل بن عادياء ، وذكر ابن رشيق أنه " أول من نطق به حيث يقول:

ونحن أناس لا نرى القتل سبة ** إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ** وتكرهه آجالهم فتطول

واتبعه الناس"[١].

---

(١) السابق صـ٧١.

(٢) السابق ، الصفحة ذاتها .

(٣) ينظر الإيضاح ، القزويني ، صـ٣٩٦.

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (طرد)

وقد ألمح ابن وكيع إلى أن اشتهار هذا الفن مرجعه إلى أبي تمام . فقال : " حكى محمد بن يحيى الصولى قال : سمعت البحتري يقول : أنشدنا أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن إدريس :-

وسابح هطل التعداء هتان ** على الجراء أمين غير خوان

أظمى الفصوص وما تظما قوائم **فخل عينيك في ظمآن ريان.

فلو تراه مشيحا والحصى زيم بين السنابك من مثنى ووحدان.

أيقنت إن لم تثبت أن حافره ** من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي: ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ! قال : هذا المستطرد يريك وصف الفرس وهو ينوي هجاء عثمان"(٢).

واستمر ابن وكيع قائلاً : "واحتذى هذا البحتري ، فقال في قصيدة يمدح بها (علي بن محمد القمى) ، ويصف فرساً فقال :

وأغر في الزمن البهيم محجل **قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني إلا أنه **في الحسن جاء كصورة في هيكل

ملك العيون فإن بدا أعطيته نظر المحب إلى الحبيب المقبل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته ** يوماً خلائق حمد وبه الأحول

وكان حمدويه هذا عدواً للممدوح ، فاستطرد بهجائه"(٣).

ولما كان هذا المعنى ملكاً لأبي تمام ، فقد "حكى عن أصحاب البحتري أنه قيل له : إنك ستعاب بهذا المعنى ؛ لأنك سرقته من أبي تمام، فقال : أأعاب بأخذي من أبي تمام؟ والله ما قلت شعراً قط إلا أخطرت شعره على بالي" (٤).

---

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٣٩.

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٣.

(٣) السابق الصفحة ذاتها .

(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٤.

وابن وكيع أتى في كتابه المنصف بنماذج كثيرة للاستطراد إلا أنه لم يذكر تعريفاً له ، لكن معظم البلاغيين والنقاد قد ذكروا حده، فالعسكري سماه (الاستطراد) ، وعقد له الفصل (الرابع والعشرين) في كتابه الصناعتين وعرفه بقوله : "أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر .. وقد جعل الأول سبباً إليه"(١).

وكذلك ابن رشيق، فقد أطلق عليه هذا الاسم وقال : " الاستطراد أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع ، يقطع عليها الكلام ، وهي مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود إلى كلامه الأول ، وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية"(٢).

وفرق بين (الاستطراد) و (الخروج) بقوله : "أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك (استطراد) ، وإن تمادى فذلك (خروج) ، وأكثر الناس يسمى الجميع استطراداً والصواب ما بينته"(٣).

وذهب العلوي في (الطراز) إلى مثل هذا بقوله : "هو أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ، ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره ، ثم يرجع إلى ما كان عليه قبل ، فإن تمادى فهو الخروج، وإن عاد فهو الاستطراد"(٤).

---

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٨٧.

(٢) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـ٢٣٦.

(٣) السابق ج٢ صـ٣٩ .

(٤) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ج٣ صـ١٢

وللاستطراد صور وضعها البلاغيون ، عرض لها ابن وكيع ، منها الاستطراد بالخروج من الوصف إلى الهجاء ، مثل ما جاء في النموذجين السابقين لأبي تمام وللبحتري.

وقد يكون الاستطراد بالخروج من الذم إلى المدح ، "ومثل ذلك قول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ** ـكن الجواد على علاته هرم

أراد أن يستطرد بهرم ، وهذا استطراد يخرج من ذم إلى مدح" [١].

ومن صوره الأخرى التي أشار إليها ابن وكيع في كتابه أنه قد يقع استطراد من مدح إلى ذم ، كقول بكر بن نطاح في مالك بن طوق:

عرضت عليها ما أرادت من المـنى **لـترضى فقالت قم فجئني بكوكب
فقلت لها : هذا التعنت كـله **كـمن يشتـهي لحم عنقاء معـربي
سلى كـل أمر يستقيم طلابه **ولا تـذهـبي يا درّ في كل مذهب
فأقسم لـو أصبحت في عز مالك ** وقـدرته أعـيى بمـا رمت مطلبي
فـتـى شقـيت أمـواله بنـواله **كما شقيت قيس بأرماح تغلب[٢]

وأورد ابن رشيق هذه الأبيات واستملح الاستطراد بقوله : "فهذا مليح: أوله خروج، وآخره استطراد، وملاحته أن مالكاً من بني تغلب ، فصار الاستطراد زيادة في مدحه" [٣].

٤. الحشو

جاء في اللسان حشا : ملأ ، واسم ذلك الشيء الحشو على لفظ المصدر، وقد سمي القطن الحشو لأنه يحتشي به الفرش وغيرها[١].

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٤

(٢)السابق ، صـ ٧٥.

(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٤١.

والحشو عند الحاتمي باب لطيف جداً لا يتيقظ له إلا من كان متوقد القريحة، متباصر الآلة ، طباً بمجاري الكلام عارفاً بأسرار الشعر ، متصرفاً في معرفة أفانينه"[٢].

وسماه ابن المعتز " اعتراض كلام في كلام" ، وقال في تعريفه : "ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد"[٣].

وقسمه العسكري " ثلاثة أضرب اثنان منها مذمومان ، وواحد محمود .. وتسمى أهل الصنعة هذا الجنس اعتراض كلام في كلام" [٤]، وسماه ابن الأثير (الاعتراض) ، وقال : "بعضهم يسميه (الحشو)، وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الأول على حاله"[٥].

أما المظفر العلوي فلم يذكر له تعريفاً ، وإنما أورد باباً سماه " الحشو السديد في المعنى المفيد" ، وعرض بعض الشواهد عليه[٦].

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (حشا).

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، محمد بن الحسن الحاتمي ، ج١ صـ١٩٠.

(٣) كتاب البديع ، ابن المعتز ، صـ٥٧.

(٤) ينظر : الصناعتين ، العسكري صـ٤٦ ، ٤٧ .

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير (ضياء الدين) تحقيق: د. أحمد الحوفي وآخر ، دار نهضة مصر (١٩٥٩) ج٢ صـ١٨٣.

(٦) ينظر / نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي ، تحقيق : د. نهى عارف الحسن ، دمشق ، (١٩٧٦م) ، صـ١٨٠.

وابن وكيع قد أشار إلى هذا الفن البلاغي ، وأسماه "الحشو السديد في المعنى المفيد"(١)، وعرض له عدداً من النماذج الشعرية منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم . ومن النماذج التي أعجب بها قول أبي الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي:

فلو بك ما بي : لا يكن بك – لاغتدى **وراح إليك البر بي والتقرب

وذكر أن قوله : " (لا يكن بك) حشو مليح"(٢).

وأعجب أيضاً بقول "ابن المعتز:

وخيل طواها القود حتى كأنه **أنابيب سمر من قنا الخط ذبلُ
صببناً عليها – ظالمين – سياطنا **فطارت بها أيد سراع وأرجل

فقوله (ظالمين) حشو مليح في لفظ مفيد" (٣).

وأعجب أيضاً – بقول دعبل:

وإذا صادقت أكدت الصفا ** وإذا أدبرت يوماً لم أعج
وإذا عاذ بقومي عائذ ** وتر الناس جميعاً لم يهج

وذلك لأن الشاعر " حشا البيت حشواً مليحاً مفيداً من قوله : (وتر الناس جميعاً)(٤).

وقد لا يعجب ابن وكيع بعض صور الحشو الذي يأتي به الشعراء ، وفي هذه الحالة يعبر عن استقباحه ورفضه لها ، بإيراد كثير من الأحكام النقدية التي تتراوح بين الرداءة ، والغثاثة ، والذم ، وما شابه ذلك من العبارات التي تؤكد عدم استحسانه لهذا الحشو ، وتنوع مثل

---

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٧٥

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) السابق صـ ٧٦.

(٤) المنصف ،ابن وكيع، صـ٢٦٩.

هذه الأحكام تبين مدى دقته في أحكامه النقدية ، وذلك مثل ما جاء في تعليقه على بيت أبي الطب المتنبي :

سهاد أتانا منك في العين عندنا رقاد وقلام رعي سر بكم ورد

فقد ذكر أن " قوله (في العين) حشو ردئ ، لأن السهاد معلوم المكان"(١).

وكلما ازداد رفضه لصورة الحشو ، ازدادت حدة أحكامه عليها، كما جاء في نقده لبيت المتنبي:

همام إذا ما فارق السيف غمده **وعاتبته لم تدر أيهما النصل

فذكر أن "حديث فراق السيف غمده ، وذكر المعاتبة حشو مذموم"(٢).

٥. الالتفات

يقول ابن منظور : لفت وجهه عن القوم : صرفه ، والتفت التفاتاً، والتفت أكثر منه ، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه، ويقال: لفت فلاناً عن رأيه: أي صرفه عنه ، ومنه الالتفات(٣).

والالتفات من الأساليب العربية القديمة ، ذكره أبو عبيدة وقال " والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد ، فترجع إلى الشاهد"(٤).

والالتفات أول محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز بعد فنون البديع الخمسة ، وقال في تعريفه "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى

---

(١) السابق صـ٦١٧.

(٢)السابق صـ٢٢٠.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (لفت)

(٤) مجاز القرآن ، أبو عبيدة بن المثنى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة (١٩٥٤م) ج٢ ، صـ١٣٩.

الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك .. ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر"(١).

وتحدث عنه قدامة في نعوت المعاني وقال: "هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً على ما قدمه ، فإما أنه يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه"(٢).

وتعريف قدامة هذا يطلق عليه البلاغيون (الاعتراض) أو (الرجوع) ، وهو النوع الثاني من الالتفات عند العسكري ، أما النوع الأول فهو الذي عرفه بقوله : "أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره"(٣). وهذا النوع هو الذي يطلق عليه الأصمعي التفاتاً ولعله هو أول من أطلق عليه هذا الاسم.

فقد أورد ابن وكيع ما حكاه إسحاق بن إبراهيم الموصلي "قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفات جرير؟ قلت لا ! .. فأنشدني:

أتنسى إذ تودعنا سليمى ** بفرع بشامة سقي البشام.(٤)

وأورد العسكري هذا البيت وعلق عليه بقوله : " ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام فدعا له"(٥).

---

(١) كتاب البديع ، ابن المعتز ، صـ٥٨.

(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٦٧.

(٣)الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٨١.

(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٢ .

(٥) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٨١.

وعرف ابن وكيع الالتفات بقوله : " هو انصراف عن مخاطبة إلى إخبار، وعن إخبار إلى مخاطبة ، من ذلك قول جرير:

متى كان الخيام بذى طلوح ** سقيت الغيث أيتها الخيام

أتنسى يوم تصقل عارضيها ** بعود بشامة سقى البشام [١]

وابن وكيع بهذا التعريف يوافق ابن المعتز ، وعلى هذا عندما استقرت البلاغة ، وقسمت إلى علومها ، أدخلها السكاكي في علم المعاني ، وقال : "إن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني"[٢].

والنماذج التي أوردها ابن وكيع للتعريف الذي ذكره ، سواء في ذلك قول جرير السابق أو قول أبي تمام:

وأنجدتم من بعد اتهام داركم **فيا دمع أنجدني على ساكني نجد [٣]

تندرج تحت هذا التعريف ، إلا أن بيت جرير الذي أورده الأصمعي فيما حكاه إسحاق الموصلي ، فهو من النوع الثاني الذي لم يذكر تعريفه، مما يؤكد اضطراب ابن وكيع في التمثيل للالتفات ، وذلك ناتج من أن هذه المصطلحات لم تكن قد حددت تحديداً دقيقاً في عصره ، ولم تظهر الفروق دقيقة جلية إلا على يد متأخري البلاغيين.

وقد تأتي أحكام ابن وكيع أشد قسوة من هذا مثلما جاء في نقده لبيت أبي الطيب :

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٢

(٢) مفتاح العلوم ، السكاكي ، صـ٩٥.

(٣)المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٢.

وليس كبحر الماء يشتق قعره **إلى حيث يفنى الماء حوت وضفدع

فذكر أن : " في هذا البيت حشو غث ، وهو قوله (بحر الماء) ، ولا معنى له، وهو من جنس قول أبي العيال:

ذكـــرت أخـــي فعـــاودني ** صـــداع الـــرأس والـــوصب.

إلا أن يكون لليبس بحر يعبر عنه بهذا الاسم ؛ فيفيـد كلامـه ، وما في اشتقاق الحوت والضفدع ماءه حتى يفنى الماء ضرر على أحد ، ولا نقص على البحر ، وهذا مدح لا فائدة فيه" [١].

ومنه – أيضاً – ما جاء في نقده لقول المتنبي

حسام لابن رائق المرجى ** حسام المتقى أيام صالا

فقد ذكر أن قوله (حسام المتقى) معنى معروف، وقوله : (أيـام صالا) حشو غث فارغ ، كأنه إنما يكون حسامه في أيام صولته ، وسقط عنه هذا الاسم في غيرها "[٢].

(١)المنصف ، ابن وكيع ، صـ١٨٢.

(٢) السابق ، صـ ٥٢١.

المبحث الثاني

علـم البيـــان

البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء : اتضح فهو بين ، واستبان الشيء : ظهر، والبيان : الفصاحة واللسن ، كلام بين: فصيح ، والبيان : الإفصاح، والبين من الرجال : الفصيح والسمح اللسان ، والبيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وأصله الكشف والظهور(١).

واستمرت كلمة البيان تحمل هذه المعاني العامة إلى أن دخلت الدراسات البلاغية فأصبح لها مدلول آخر غير الوضوح ، ولعل تعريف جعفر بن يحيى من أقدم ما دون ، وأورده الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) حين قال : "قال ثمامة بن أشرس: قلت لجعفر بن يحي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الإسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذي لابد منه أن يكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل"(٢).

وجعل ابن رشيق البيان فناً من فنون البلاغة كالاستعارة والمجاز والتشبيه والإشارة وعرفه بأنه : "الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ، ولا يستحق اسم البيان" (٣).

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (بين).

(٢)البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج١ صـــ١٠٦.

(٣) العمدة ، ابن شيق ، ج١ صـــ٢٥٤.

وهذه النظرة الواسعة للبيان بدأت تضيق عندما جاء السكاكي وقسم البلاغة إلى المعاني والبيان وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية ، وعرفه بأنه "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه" (١).

ولما جاء القزويني كانت فنون البيان قد انحصرت ، وعرفه بأنه " علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"(٢) ، وسار على نهج السكاكي في تقسيمه ، وأصبح البيان عندهما يدل على التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية ، ولا يزال علم البيان يشمل هذه الموضوعات ، وهي التي سندرسها فيما يلي :

أولاً : التشبيـــــه

إن المتتبع للكم الهائل من صور التشبيه في الشعر العربي يدرك مدى اهتمام الشعراء به، وهو امتداد لاهتمام النقاد والبلاغيين أيضاً ، ولهذا جعله قدامة : "من أشرف كلام العرب ، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف" (٣) ؛ لذلك فهو "جار كثير في كلام العرب ، حتى لو قال قائل :

(١) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، المطبعة الأدبية مصر، ط١ ، صـــ١٧٦

(٢) الإيضاح ، القزويني ، صـــ٢١٢.

(٣) نقد النثر ، قدامة بن جعفر، تحقيق د. طه حسين ، وحسن العبادي ، ط دار الكتب المصرية – القاهرة (١٩٣٣) ص٤٩.

هو أكثر كلامهم لم يبعد"[١]. وبه تعرف البلاغة[٢]، وهو "لا يقع إلا لمن طال تأمله ، ولطف حسه، وميز بين الأشياء بلطيف فكره"[٣].

واهتمام الشعراء والنقاد والبلاغيين بالتشبيه مرجعه عند الرماني إلى أنه يعمل على "إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه ، مع حسن التأليف"[٤] . وهذا الاهتمام دفع ابن الأثير إلى القول عنه: " إنه من بين أنواع علم البيان ، مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة ، وسبب ذلك : أن حمل الشيءعلى الشيء بالمماثلة إما صورة وإما معنى يعز صوابه، وتعجز الإجادة فيه ، وقلما أكثر منه أحد إلا عثر ... " [٥].

وابن وكيع قد طالت نظراته في تشبيهات أبي الطيب المتنبي في إطار نظرة موازنة مع تشبيهات من سبقوه من الشعراء ، ولهذا فقد حظى التشبيه عنده بوقفات نقدية لا يستهان بها باعتباره من أهم أدوات التعبير الجمالي عند الشاعر ، ومظهر لبراعته واقتداره.

---

(١)الكامل ، المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ج٢ صـ ٦٩.

(٢) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ، القاهرة ، طـ٤ صـ٢٧٥

(٣) كتاب التشبيهات ، ابن أبي عون ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، كمبردج ١٩٥٠، صـ٢

(٤) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق د. محمد زغلول سلام وآخر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، صـ٨١.

(٥) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، ج٢ صـ١٢٣، ١٢٤

وتكشف هذه الوقفات مدى لفت التشبيه لذوقه وإعجابه به وإحساسه بأنه من أهم معالم الإبداع ، وأنه أداة فنية ذات قيمة جمالية ، فيه يتفاعل الإقناع المنطقي العقلي والإقناع الشعوري القلبي، وله في تذوقه ونقده رؤى هي خلاصة حصاد فكره وثقافته وذوقه الفني ، وإحساسه بالجمال التعبيري ، وهي تتمثل في أمرين هما:

أولهما : الإشادة بجمال التشبيه :

وفي هذا المنحى يعرض ابن وكيع عدداً من التشبيهات يتبعها عدد من الأحكام النقدية في ثنايا كتابه (المنصف) ، يلوح من خلالها تفاوت مراتب التشبيه بين بديعه وجيده، حسب ما يراه من قيم جمالية ، ويمكن تكثيف ورصد هذه الأحكام فيما يلي :

١. **زيادة المعنى في التشبيه :**

لقد التفت ابن وكيع إلى التشبيه الذي زاد صاحبه في تركيب معناه عمن سبقه من الشعراء ، ولذلك نراه يستحسن بيتي المتنبي :

تلذ له المروءة وهي تؤذى ** ومن يعشق يلذ له الغرام
تعلقها هوى قيس لليلى ** وواصلها فليس به سقام

ويعلق عليهما بقوله : "وهذا كلام مستوفي الأقسام مليح النظام ، أخبرنا بالتذاذه المروءة التي يثقل حملها على الناس ، وشبه ذلك بالتذاذ العاشق الغرام ، وذكر أن تعلقه لها تعلق قيس لليلى ، وهذه نهاية التعلق بها ، وذكر أن مواصلة لها تؤمنـــه السقام الذي يقع من المقاطعة" [١].

ثم يوازن بين هذا التشبيه في قـــول أبي الطيب وبين قول "ابن الرومي:

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٤٧ــ .

عشق العلا وعشقنه فكأنما ** وافي هوى لبنى هوى ابن ذريح

وقوله أيضاً :

أيحجب عني عشرة قد ومقتها ** فشوقي إليها شوق قيس إلى لبنى

فالتشبيه كالتشبيه ، ولكنه زاد بقوله : (وواصلها فليس به سقام) زيادة استحق بها المعنى" [١].

فابن وكيع قد استحسن التشبيه في قول المتنبي وأثنى على ما جاء في بيتيه من حسن النظام، واستيفاء الأقسام ، وجودة التشبيه ، ففي بيته الأول شبه التذاذ الممدوح بالمروءة مع ما فيها من التكاليف ، والمشاق بالتذاذ العاشق بعشقه مع ما فيه من التعب والنصب ، وفي الثاني : شبه تعلق الممدوح بالمروءة بتعلق قيس بليلى ، ثم ذكر أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقماً كما أورث عشق ليلى قيساً سقماً ؛ لأنه لم يجد سبيلاً إلى وصلها[٢].

وهذه الزيادة في المعنى عند أبي الطيب بقوله : (وواصلها فليس به سقام) قد فضله ابن وكيع على قول ابن الرومي في بيتيه اللذين أتى بهما في مقام الموازنة .

ومن التشبيهات التي استحسنها ابن وكيع لأن صاحبها قد زاد في المعنى على غيره ما جاء في قول المتنبي :

كأنما قدها إذا انفتلت ** سكران من خمر طرفها ثمِلُ

---

(١) السابق الصفحة نفسها

(٢) ينظر : ديوان المتنبي بشرح العكبري ، تح : مصطفى السقا وآخرين ، دار المعرفة (بيروت)
ج٤ صـ٧٥٠.

مؤكداً تفرد صاحبه بقوله: "وقد ملح بأن جعل قدها سكران من خمر طرفها، فزاد في المعنى ما هو من تمامه ، وإلا فقد سبقه الشعراء إلى تشبيه القدود بانفعالها وتثنيها بقدود السكارى ، فأولهم عمرو بن كلثوم.

إذا ما رحن يمشين الهويني ** كما اضطربت متون الشاربينا

وآخرهم من المحدثين البحتري :

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى ** كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

ذكر (كرى النوم) حشو ، وليس فيه إخبار بأن جسدها سكر من خمر طرفها ، فصار لأبي الطيب زيادة في كلامه ما هو من تمامه"[١].

وبيت المتنبي الذي استحسن ابن وكيع التشبيه فيه هو من قصيدة في مدح (بدر بن عمار) وقد استهلها بمقدمة غزلية ، منها هذا البيت الذي يصف فيها قدها بقوله : إنها تتمايل في مشيتها تمايل السكران، فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر من خمر عينيها[٢].

فالمتنبي زاد في تشبيهه معنى غير مسبوق به، وذلك عندما شبه قدها بسكران من خمر طرفها، كما اشتمل التشبيه على سحر طرفها ، وجمال قدها، بينما اكتفى سابقوه بتشبيه القدود بالسكارى ، ولهذا استحسنه ابن وكيع ، وقدمه على قول غيره.

٢. تعدد التشبيه :

لقد نظر ابن وكيع إلى التشبيهات المجتمعة نظرة استحسان، فأحسن التشبيهات عنده حين يتعانق أكثر من تشبيه في وقت واحد،

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ ٥٠٠

(٢) ينظر / ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ، دار الفكر (بيروت) ، ج٣ صـ ٣٢٦.

وأشار إلى هذا المنحى الأسلوبي بقوله :"فأحسن التشبيه عند أبي عمرو والأصمعي ما كان فيه تشبيهان في تشبيهين ، وأحسن ذلك ما قاله امرؤ القيس.

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا **لدى وكرها العناب والحشف البالي

فشبه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف ، وخص قلوب الطير لأنها أطيبها ، فإذا صادت جاءت بقلوب الطير إلى أفراخها، وذكر عن الأصمعي أنه قال : الجارح لا يأكل قلوب الطير، وإنما خصها دون غيرها لبقائها في وكر العقاب للعلة التي ذكرها (١).

والتشبيهات المجتمعة تتحقق إذا كان التشبيه في أمور كثيرة لا يتقيد البعض بالبعض ، وحينئذ يكون ذلك تشبيهات مضموماً بعضها إلى بعض لأغراض كثيرة ، وكل واحد منفرد بنفسه" (٢).

وذكر الرازي أن لهذا النوع من التشبيهات خاصيتين : "الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب ، ألا ترى أنك إذا قلت : زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً ، والسيف مضاء ، والبدر بهاء لم يجب عليك أن تحفظ لهذه التشبيهات نظاماً . الثانية إذا أسقط البعض فإنه لا يتغير حال الباقي ....." (٣).

وفي هذا الإطار ذكر الإمام عبد القاهر أن بيت امرئ القيس السابق فيه تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلاّ أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه ، وليس بينهما اتصال ، وإنما هما مجتمعان

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٥٠.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، مطبعة صبيح (القاهرة) (١٣١٧)هـــ ، صـــ٦٨

(٣) السابق صـــ٨٦ .

في مكان واحد فقط ، ولذلك لو فرقت التشبيه ها هنا فقلت : كأن الرطب من القلوب عناب، وكأن اليابس حشف بالٍ، لم تر أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على الآخر .... "[١].

واستملح ابن وكيع قول أبي تمام :

أثاف كالخدود لطمن حزنا ** ونؤى مثل ما انفصم السوار

وقال : "فهذان تشبيهان في بيت جميع ألفاظه مفيدة لا حشو فيها، وذكر انفصام السوار تحقيقاً للتشبيه .... "[٢].

وتعدد التشبيه أو الإكثار منها في البيت أو البيتين مثار لإعجاب ابن وكيع ، ولذا فهو مبهور بما قاله : "سيد الشعر امرؤ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام ** وريح الخزامي ونشر القطر

يعل به برد أنيابها ** إذا طرب الطائر المستحر

فجاء بأربع تشبيهات في بيت واحد ، وذكر أن هذه صفة أنيابها في وقت صياح الديك " الذي فيه تغير أفواه البشر ، فحشا بيته حشواً مفيداً سديداً وهو سابق الشعراء وأولى بما قال " [٣].

والتعدد الذي اعتبره ابن وكيع من أسس حسن التشبيه لا يصلح أن يكون مقياساً عاماً لجودة التشبيه وحسنه ، فهناك من التشبيهات المفردة لا تعدم الحسن ، وأن منها ما هو أكثر حسناً من كثير من التشبيهات المجتمعة ..

---

(١) ينظر أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة صبيح ،

الطبعة السادسة ، صـ١٥٦- ١٥٨

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٤٦٣.

(٣) السابق صـ٣٣٢.

٣. وضوح التشبيه والإصابة فيه :

لقد أعجب ابن وكيع بالتشبيه الذي حرص صاحبه على أن يكون التشبيه محققاً وضوح المعنى؛ من تناسب معنى المشبه به لمعنى المشبه ، وعلى أن يحيط الوصف بجميع أنحاء الموصوف ، وبهذه الميزة فضل قول أبي تمام :

ومن زمن ألبستنيه كأنه ** إذا ذكرت أيامه زمن الورد

على قول أبي الطيب المتنبي :

لو كنت عصرا منبتا زهرا ** كنت الربيع وكانت الوردا

معللاً ذلك بأن " معنى أبى الطيب : لو كنت عصراً وكان المُلك زهراً كنت ربيعاً وكان الزهر ورداً ، وتشبيه الزمان بزمان من جنسه هو زمان الورد أحسن وأشبه من تشبيه إنسان بزمان الورد ، فتشبيه أبي تمام أوضح ، وكلامه أرجح" (١).

واستحسان ابن وكيع هنا مبني على : أن أبا تمام قد شبه الشيء بجنسه وهو مفهوم الوضوح عنده، والمتنبي قد شبه الشيء بغير جنسه ، لكن البلاغيين لا يرجعون حسن التشبيه إلى اتحاد الجنس بين المشبه والمشبه به ، بل ينظرون إلى المعاني المشتركة بين طرفي التشبيه ، وقدرة الشاعر على التأليف بين المتباعدين.

وإلى هذا المعنى أشار ابن طباطبا بقوله : "فربما أشبه الشيءُ الشيءَ صورة ومعنى ، وربما أشبهه صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة ، وربما قاربه أو داناه ، وربما أشبهه

(١)المنصف، ابن وكيع صـ١٥٩ ، ١٦٠

مجازاً لا حقيقة" [١] ، فوظيفة التشبيه أن يقرب بين المتباعدين ، ويؤلف بين المتنافرين ، ويربط بالعلاقات بين المختلفين.

ومن هذا الباب أيضاً استحسان ابن وكيع قول المتنبي :

حجبتها عن أهل أنطاكية ** وجلوتها لك فاجتليت عروسا

وتفضيله على قول البحتري :

هذي القصائد قد أتتك حسانها ** تسعى إليك كأنهن عرائس.

وذلك لأن البحتري : "لم يزد على أن شبه قصائده بالعرائش، ولأبي الطيب من ذكر الحجاب والجلوة ما يقتضيه ذكر العروس ، وأنها مضنون بها على غير الأكفاء من الممدوحين ، ومن أكفائها الممدوح ؛ فرجح كلامه" [٢].

أما الإصابة في التشبيه فهي ثمرة من ثمار دقة الشاعر في انتقاء أنسب الصفات لعقد المشابهة ، "أما غلط الناس في تشبيه العيون بعيون الظباء فواضح ؛ لأن عين الظبي سوداء ، وإنما يقع التشبيه في العين بعين البقرة الوحشية ؛ لأنها تجمع البياض بالسواد ، واجتماعهما الحور" [٣].

ولهذا أعاب ابن وكيع التشبيه في قول المتنبي :

جزى الله المسير إليه خيرا ** وإن ترك المطايا كالمزاد

وذلك لأن المزاد يكون فيها الملأى الجديدة ، فيكون التشبيه يدل على الصلابة والسمن وقلة الكد ، وليس هذا مراده ؛ لأنه لا يوجب

---

(١)عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ت. د: محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف (١٩٨٠م) ، صـ٢٥.

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ ٢٧١ ، ٢٧٢

(٣) السابق صـ٢٩١.

على الممدوح ذماماً في قصده لأنه ما كدّ إليه راحلة ولا جهد نفسه في إتيانه ، وقد تكون فارغة يابسة، فتشبه الهزلى من الإبل ، ولكنه ما أتبع هذا بنعت يفسر إرادته . والجيد قول بعض الأعراب :

كأنها والشئول كالشنان ** تميس في حلة أرجوان

و(الشنان) : القرب البالية جمع شنّة ، فدل بمعنى الشنان على بلاها وهزالها ، فرجح لفظه" [١].

فابن وكيع يـــرى أن التشبيه في بيت المتنبي غير دال على المراد ، لأنه يريد أن يقول: إن إبلنا قد أضناها المسير وهزلها حتى أصبحت كالمزاد الفارغة اليابسة التي نفد ماؤها ، والمزاد جمع مزادة ، وتطلق على الملأى الجديدة ، وعلى الفارغة البالية ، ولم يبين المتنبي أيهما يقصد ، ومن هنا كان التشبيه غير دال على المراد.

٤. تعانق التشبيه مع محسن بديعي:

عندما يقترن التشبيه بفن من فنون البديع فإنه يشكل معه بناء مركباً ، ويتفاعل معه في نسيج الصورة التي يرسمها الشاعر ، كما يحقق التوازن بين جمال التعبير ورقة الشعور ، ولهذا فضل ابن وكيع قول ديك الجن:

أنضاء طلت دمعهم أطلالهم ** فتخالهم بين الرسوم رسوما .

(١) السابق صـــ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

لأن "في هذا البيت تجنيس مليح، وتشبيه من رسوم أجسام برسوم أطلالهم" [١] كما أعجب بالتشبيه الذي اكتنفه طباقان ، وحكم عليه بأنه تشبيه مليح، كما في قول الطرماح:

يبدو وتضمره البلاد كأنه ** سيف على شرف يسل ويغمد

وذلك لأن الشاعر " شبه شيئين بشيئين ، وجود الطباق بقوله : (تبدو وتضمره) و (يسل ويغمد)" [٢].

والضمير في (يبدو) يعود على الثور الوحشي ، و(تضمره البلاد) تغيبه، و(كأنه سيف) في بياضه ، و(الشرف) المكان العالي ، وليس هذا الإعجاب مقصوراً على ابن وكيع فقد ذكر صاحب الأغاني أن أبا عبيدة والأصمعي كانا ينشدان بيتي الطرماح (البيت المذكور) وبيته الآخر من القصيدة نفسها:

مجتاب حلة برجد لسراته ** قددا وأخلف ما سواه البرجدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناس في هذين البيتين[٣].

بهذه اللمحات الجمالية والرؤى النقدية عبر ابن وكيع عن إعجابه بمثل هذه التشبيهات التي تسابق الشعراء من خلالها على إظهار براعتهم في التصوير ، فنوعوا أشكالها ، وزينوا أشعارهم بوافر منها، بحيث بدت أشعارهم كلوحات فنية فائقة الجمال ، تشهد لأصحابها ببراعة الفن ، وجودة التصوير.

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٢٦٣.

(٢) السابق صـ٥١.

(٣) ينظر : الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، طبعة دار الثقافة (بيروت) ، الطبعة الأولى ، ج٦ صـ٩١.

ثانيهما : الغض من التشبيهات المعيبة :

وفي هذا الإطار يعرض ابن وكيع عدداً من التشبيهات التي يأباها ذوقه لعيوب رآها ، وقد جاءت نظرته لها من زاويتين هما :

١. **غموض التشبيه أو بعده:** ويتمثل هذا الغموض في بعد الجامع أو انعدامه ، مما دفع ابن وكيع إلى النفور من مثل هذا التشبيه ، لأنه يرى أن بعد الجامع فيه لا يحقق جانب الألفة والربط بين الطرفين ، لذا ذم قول "المتنبي:

مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي ** هام الكماة على أرماحهم عذبا

وذكر أنه يشبه قول أبي تمام:

من كل ذي لمة غضت ضفائرها **صدر الفتاة فقد كادت ترى علما

فشبه الضفائر المنتشرة بالعلم ، واحتاط بأن قال : (كادت) ، وأما الهام نفسها فلا تشبه العذب .

وقال ابن الرومي:

تطير عليه لحية منه أصبحت ** له راية يهدى بها الجيش مطرد

فالضفائر واللحى أشبه بالأعلام والمطارد من الهام ، وقال ابن المعتز :

ويجعل هامات أعدائه ** قلانس يلبسهن الرماحا

وما في تشبيهه بُعد ، وجميع هذه التشبيهات أصح وأرجح من تشبيهه" [١].والغض من التشبيه بسبب غموضه وعدم وضوح معناه ، دفع ابن وكيع لأن يعيب على المتنبي قوله :

كبرت حول ديارهم لما بدت ** منها الشموس وليس فيها المشرق

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٣٩٩.

وذلك لأنه " ذكر أنه كبّر حول ديارهم تعجماً من كون الشموس فيها وليس فيها المشرق ، شبه الممدوحين بالشموس ، وينبغي أن تكون الشموس في المشرق ، فكأن ديارهم ليس لها مشرق ، فلذلك استغرب كون الشمس فيها ، نبهه على هذا أبو نواس بقوله:-

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا ** وما لم يكن فيه من البيت مغربا

فخبر عن الخمر بأنها إذا حلت في بيت كان مشرقاً ، وإذا لم تكن فيه كان مغرباً، وكلام أبي نواس أحسن ، وقد ذكر المشرق والمغرب فرجح كلامه عليه "(١).

والتشبيه البعيد ليس مستعذباً عند البلاغيين لأنه يحتاج إلى تفسير ولا يقوم بنفسه ، قال عنه المبرد "وهوأخشن الكلام" (٢) وقال القزويني : "والبعيد القريب هوما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر ؛ لخفاء وجهه في بادئ الرأي" (٣).

٢. **الجمع بين تشبيهات غير متجانسة** : وهذا اللون من التشبيه يستهجنه ابن وكيع ، ويعزي الوقوع فيه إلى خلل في صنعة الشعر ، حين يأتي الشاعر بتشبيه لا يتلاءم وغيره من التشبيهات المذكورة في البيت وذلك مثل قول المتنبي :

بدت قمرا ومالت خوط بان ** وفاحت عنبرا ورنت غزالا

فاعتبر أن . "وقوع (فاحت عنبراً) بين هذه التشبيهات التي هي أعضاء : قلة صنعة وضيق عطن بما يليق في البيت ، ولو قال

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ١٦٥.

(٢) الكامل ، المبرد ج٣ صـ٨٥٣.

(٣) الإيضاح ، القزويني ، صـ٢٥٣.

(وماجت لجة) يريد ردفها كان البيت كله تشبيهات ، وكان أحسن في صنعة الشعر، ولو جعل البيت بثلاثة تشبيهات ، فقال:

بدت قمرا ومالت خوط بان ** تثنى مائدا ورنت غزالا

لاكتفي بذلك وجميع البيت موجود في قول ابن الرومي : إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت ** فالغصن مال وإن رنت فالريم

وقال البحتري :

فهي الشمس بهجة والقضيب النضـ **ـرلينا والريم طرفا وجيدا

وهذه معان متداولة مستعملة ، ولكن إذا نشط لأخذها فلا بد من إخراج مواضعها، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها، وكلاهما بالسلامة من مطعن أرجح وهما أولى بما قالا" (١).

وكلام ابن وكيع يدور حول التشبيه الثالث (وفاحت عنبراً) إذ جعله غير متجانس مع ما قبله وما بعده من تشبيهات تتعلق بأعضاء جسد المحبوبة ، وهو ليس كذلك . ولو قال المتنبي : (وماجت لجة) بدل قوله: (وفاحت عنبراً) لكان أفضل.

وأرى أن هذا التغيير لا يرقى بالبيت إلى الحسن في صنعة الشعر، لخفاء هذا التشبيه من ناحية ولعدم إضافته جديداً إلى المعنى من ناحية أخرى ، فقد وقع وصفها بالليونة في قوله : (ومالت خوط بان) ، وإن كان غير متعلق بالأرداف.

ولو اقتصر بيت المتنبى على ثلاثة تشبيهات وأصبح كما يرى ابن وكيع:

بدت قمرا ومالت خوط بان ** تثنى مائدا ورنت غزالا

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥١٧.

لاحتوى البيت على حشو لا فائدة منه هو قوله : (تثنى مائداً) لملازمة هذه الصفة لغصن البان المشبه به المتغزل بها من غير نص عليها ، إذ لا يعقل أن يكون المراد غصناً سميكاً لا يهتز ، وإلا كانت المحبوبة جسداً جامداً لا حياة فيها ، ناهيك عن حذف هذا التشبيه البديع .

ثانياً : الاستعارة

للاستعارة مكانة مرموقة لدى النقاد، فهي "أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حلى الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها" [(١)]،على حد قوله ابن رشيق.

والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية، ولعلّ أبا عمرو بن العلاء كان من أقدم الذين ذكروها ، فقد ورد في حوار له مع الفرزدق حول بيت ذي الرمة .

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى ** وساق الثريا في ملاءته الفجر.

قوله : "ولا أعلم قولاً أحسن من قوله : (وساق الثريا في ملاءته الفجر) ، فصير للفجر ملاءة ، ولا ملاءة له، وإنما استعار هذه اللفظة وهو من عجيب الاستعارات"[(٢)].

ولقد تعددت أسماؤها عند الجاحظ ، فسماها (استعارة) عندما قال : "الاستعارة

---

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـ٢٦٩.

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الحاتمي ، ج١ صـ١٣٦.

تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه" [١]،وسماها (مثلاً وبديعاً) عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة :

هم ساعد الدهر الذي يتقي به ** وما خير كف لا تنوء بساعده

قال : " قوله (هم ساعد) إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع" [٢] ، وسماها – أيضاً – (بدلاً) عند تعليقه على قوله تعالى : " فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ " سورة طه ، آية (٢٠) ، بقوله : "ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسياحها مشيا وسعياً لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل " [٣].

وبكثرة علماء البلاغة كثرت تعريفات الاستعارة وتنوعت ، غير أن تعريف عبد القاهر الجرجاني لها كان وليد نظرة دقيقة ، فيها تحديد وعمق حين عرفها بقوله : "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه" [٤]. وهذا التعريف يؤكد أنها مجاز لغوي وضرب من التشبيه .

وهي تمثل عند ابن وكيع وجها من وجوه الجمال في الصياغة والتصوير ، وتلعب عنده دوراً واضحاً في تجسيد دلالات الصورة ، ويمكن بلورة نظرته النقدية إلى الاستعارة من خلال لمحاته المتناثرة

---

(١)البيان والتبيين ، الجاحظ ، جـ١ صـ١٥٣.

(٢) السابق ج٤ صـ٥٥ .

(٣) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، ج٤ صـ٢٧٣.

(٤) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تح :محمود شاكر مكتبة الخانجي (القاهرة) ، صـ٥٣.

في كتابه (المنصف) ، ومع قلتها سنحاول تكثيفها حتى نستطيع الكشف عن رأيه فيها ، وحكمه عليها بالجمال أو بالقبح.

فتملح الاستعارة عنده وتجمل إذا اقترنت بمطابقة ، ولذا جعل من "مليح الاستعارة قول جرير:

تحيى الروامس ربعها فتجده ** بعد البلا وتميته الأمطار

قال ابن المعتز : جمع هذا البيت المطابقة والاستعارة بالإحياء والإماتة ، والبلى والجدة " (١).

وفي تجانس الاستعارة مع الحقيقة وخاصة حقائق الدين ملاحة وحسنٌ، وبها فضل ابن وكيع قول مسلم بن الوليد على قول المتنبي:

كل شيء من الدماء حرام ** شربه ماعدا دم العنقود

وبين هذا بقوله : " تحليل هذا الدم بمنزلة قوله :

يترشفن من دمي رشفات ** هن فيه أحلى من التوحيد

كله يدخل في قلة الورع ، واستعارة الدم للعنقود قد سبقه إليه مسلم في قوله:

خلطنا دما من كرمة بدمائنا ** فأظهر في الألوان منا الدم الدم

إذا شئتما أن تسقياني مدامة ** فلا تقتلاها ، كل ميت محرم

فملح في الجمع بين دم الاستعارة ودم الحقيقة ، واستعار في البيت الثاني للمزاج لفظاً مليحاً من القتل ، وجاء بتحليل أحسن من تحليل المتنبي ، فصار أولى بما سبق إليه لرجحانه ، وأول من سمى المزاج قتلاً للراح حسان بن ثابت .." (٢).

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥٣

(٢) المنصف ، ابن وكيع صـ١٤٨ ، ١٤٩ .

وخير الاستعارة وأجملها عند ابن وكيع ما كان بعيداً عن الحقيقة مع يسر إدراكها من غير لبس ، وقد نقل عنه (ابن رشيق) هذا الرأي فقال : "وقال قوم منهم أبو الحسن بن علي بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد ، وعلم مـــن أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وقد عاب على أبي الطيب قوله :

وقد مدت الخيل العتاق عيونها ** إلى وقت تبديل الركاب من النعل

إذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ، ورجح عليه قول أبي تمام :

ساس الأمور سياسة ابن تجارب **رمقـــته عـــين المـــلك وهو جنين

إذ كان الملك لا عين له في الحقيقة "[1]. فابن وكيع يرى أن جودة الاستعارة تتحقق ببعدها عن الحقيقة ، وسهولة إدراكها لبعدها عن الغموض واللبس.

وهو ينظر لاستعارات امرئ القيس نظرة إعجاب ، فلا يكاد يصل إلى جمالها وحسنها عنده استعارات غيره من الشعراء ، ولهذا فضل استعارته على استعارة المتنبي في قوله :

نيل المنى وحكم نفس المرسل ** وعقله الظبي وحتف التتفل.

بقوله: "استعارته (عقله) يبعد عن استعارة سيد الشعراء في قوله :

وقد اغتدى والطير في وكناتها ** بمنجرد قيد الأوابد هيكـل

فقيد الأوابد هي نهاية حسن الاستعارة"[2].

واعتبر ابن وكيع أن امرأ القيس هو أول من استعار في قوله:

---

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـــ٢٧٠.

(٢)المنصف ، ابن وكيع صـــ٤٩٠ .

وليل كموج البحر مرخ سدوله ** عليّ بأنواع الهمـــوم ليبـتلي
فقلـت لـه كما تمطي بصلبه** وأردف أعجازا وناء بكلكل

فإنه "ذكر سدول الليل ، وجعل له صلباً ، وأعجازاً ، وكلكلاً، فهذه كلها استعارة[١] ولا أدري ماذا يقصد ابن وكيع بأولية امرئ القيس في الاستعارة ، أيقصد بالأولية هنا التجويد والكثرة ؟ أم أولية البدء والإيجاد؟ فإن كانت الأولى فبها ونعمت ، وإن كانت الثانية فإن الاستعارة موجودة في كلام العرب من قبل امرئ القيس ، فقصيدة (لقيط بن يعمر الإيادي) تعد من أقدم ما وصلنا من القصائد التي حفلت بالاستعارات اللطيفة التي تبدو بعضها في قوله :

وقلدوا أمركم لله دركم **رحب الزراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده **ولا إذا عضد مكروه به خشـــعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ** هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم ** يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره** يكون متبعا طورا ومتبعا

الأبيات .....[٢] .

ويقل جمال الاستعارة عند ابن وكيع بل يتلاشى عندما يعجز الشاعر عن اختيار الألفاظ المستعارة التي تعمل على تقريب الصلة بين الأصل والفرع ، أو المشبه والمشبه به ، ولذلك حكم على قول المتنبي :

أكلت مفاخرك المفاخر وانثنت ** عن شأوهن مطى وصفى ظلعا

بأن قوله : "(أكلت) استعارة غير مليحة ، ولو قال (فضحت) كان أحسن "[٣].

---

(١) السابق صـــ٥٣ .

(٢) الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ، عبد العزيز مزروع ، مطبعة العلوم (١٩٥٠) صـــ١٢٢.

(٣) المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٤٥٨.

وابن وكيع محق في عدم استحسان هذه الاستعارة ؛ لأن المفاخر معان لا تـــأكل ولا تؤكل ، واستحسن استبدال (أكلت) بـــ(فضحت) ، وأرى أن (فضحت) لا تؤدي إلى المعنى المطلوب ، ولو استعمل الشاعر مكانها (هدمت) أو (أفنت) لكان أدل على المراد.

كما يعيب على المتنبي قوله :

ولئن هب خوفك في حشاهم **هبوب الريح في رجل الجراد

فيقول : " استعار استعارة غير صحيحة ، لأن الخوف عرض والهبوب لا يصح إلا من جسم " (١).

وهذا الرأي فيه تشدد من (ابن وكيع) ، وتضييق لواسع المجاز ، فهبوب الخوف استعارة لا غبار عليها ، وهي تصور شدة الخوف الذي تملكهم وعصف بهم ، وفي القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى : "فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا "(٢) ، وهما من صفات الأجسام على الحقيقة.

ثالثاً : الإشارة

إذا كانت الإشارة عند اللغويين هي الإيماء ، يقال : أشار إليه باليد أي أومأ(٣) ، فإن قدامة بن جعفر وهو أول من تحدث عنها حديثاً مفصلاً قد جعلها من أنواع "ائتلاف اللفظ مع المعنى" ، وعرفها بقوله : "

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٣٥٥.

(٢) من الآية (١٩) من سورة الأحزاب

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (شور)

أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها"[١].

ولقد أشار إليها الجاحظ في أحد قوليه بما لا يخرج عن هذا المعنى، وربطها بالوحي والحذف ، :" ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام"[٢].

وجعل ابن رشيق الكناية والتتبيع وغيرهما كالإيماء ، والتعريض، والتلويح والرمز ... إلخ أنواعاً من الإشارة[٣]. وإلى مثل هذا ذهب ابن سنان الخفاجي[٤]، والتبريزي[٥] ، والمظفر العلوى[٦]، والحلبي[٧] ، والنويري[٨].

وجاء السكاكي فجعل الإشارة فرعاً من الكناية خلافاً لما سبق، بأن قال : "ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض ورمز وتلويح وإيماء وإشارة"[٩].

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـــ١٥٤.

(٢) الحيوان ،الجاحظ ، ج١ صـــ٩٤ .

(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـــ٣٠٢ ، ٣١٣.

(٤) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، مطبعة صبيح (القاهرة) ، صـــ ٢٤٣.

(٥) الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تح : د. فخر الدين قباوة وآخر، دمشق ، صـــ٢٦٧.

(٦) نضرة الإغريقي في نصرة القريض ، المظفر العلوي ، صـــ٣٣.

(٧) حسن التوسل في صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلبي ، تح د/ أكرم عثمان يوسف (بغداد) صـــــ٢٦٣.

(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري ،مطبعة دار الكتب المصرية ، ج٧ صـــ٨ .

(٩) كتاب مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، صـــ٢١٣.

أما ابن وكيع فقد نقل تعريف قدامة بن جعفر السابق مع إيجاز قليل

فقال : "وقد ذكر قدامة الكاتب الإشارة فقال : هي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمحة الدالة"(١) ، ثم أورد بعض أمثلة قدامة وتعليقاته عليها ، منها قول "امرئ القيس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ** أفانين جرى غير كزولا وان

ثم قال لمخاطبه : تأمل ما اشتملت لفظة (أفانين) مما لوعد كان كثيراً ، وما اقترن بها من جميع أصناف الجودة طوعاً من غير طلب ولا مسألة، ثم نفى عنه الكزازة والوني ، وهما أكبر معايب الخيل التي تربطها الفرسان للمنازلة" (٢).

ولقد نسب ابن وكيع تسمية هذا اللون باسم (الإشارة) إلى إسحاق الموصلي ، فقال : "وقد أدخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي في البديع شيئاً سماه (الإشارة) في الشعر ذكر أنها من محاسنه ، قيل له ما هي ؟ فقال :

جعلنا السيف بين الجيد منه ** وبين سواد لحيته عذارا

ومثله قول جاهلي :

جعلت يدي وشاحا له ** وبعض الفوارس لا يعتنق

قال إسحاق : قوله (جعلت يدي وشاحاً له) إشارة بديعة بغير لفظ الاعتناق ، وهي دالة .... فهذا ما لم يسمه هذه التسمية قبل إسحاق أحد"(٣).

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥٥

(٢) السابق الصفحة ذاتها .

(٣) السابق صـ٥٤ ، ٥٥ .

ولقد ذكر ابن رشيق منزلة الإشارة وقيمتها حين قال : "والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغتها عجيبة ، تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر ، وهي في كل نوع من الكلام ملحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"(١).

رابعاً :التتبيع

قال صاحب اللسان: أتبعه الشيء : جعله تابعاً له ، والتابع التالي ، وتبعت الشيء وأتبعته مثل ردفته وأردفته، واتبعت القوم إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم(٢).

والتتبيع عند كثير من البلاغيين من أنواع الإشارة ، وقد يسمى التجاوز(٣) ، وهو عند الحاتمي " أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له ، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع"(٤) .

وسماه ابن سنان الخفاجي إردافاً وتتبيعاً حيث قال: "ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى ، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة بل يؤتي بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة ، فيكون في ذكـــر التابع دلالة على المتبوع ، وهذا يسمى الإرداف والتتبيع "(٥).

---

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـــ٣٠٢

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (تبع)

(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـــ٣١٣.

(٤) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الحاتمي ، ج١ صـــ١٥٥.

(٥) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، صـــ٢٧٠.

وأدخل المظفر العلوي التتبيع في الكناية ، ففي إطار حديثه عن الكناية قال : "وربما سماها قوم التتبيع ، لأن الشاعر يقول معنى ويأتي بلفظ تابع له، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع"(١) ، وجاء ابن الأثير الحلبي فجعل التتبيع قسماً من الكناية ، ويبدو ذلك في قوله : "ومن الكناية قسم يقال له التتبيع"(٢).

أما ابن وكيع فقد عَدّ التتبيع من " محاسن الشعر" ، وذكر له تعريفاً " وهو أن يقول الشاعر شيئاً من معانيه ، ولا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له ، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع ؛ من ذلك قول عمر ابن أبي ربيعه):

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ** أبوها وإما عبد شمس فهاشم

وإنما ذهب إلى وصف طول الجيد فلم يذكره بلفظ خاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لذلك بقوله (مهوى القرط) "(٣).

وقد عاد ابن وكيع إلى الحديث عن هذا المصطلح ، ووصفه بأنه قليل الرشاقة غير واقع في موقعه ، وذكر أنه في باب الإشارة أدخل ، وأشار إلى معناه مرة ثانية بقوله : وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له ، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع ، وأتى بنموذج ثانٍ هو قول القائل :

وقد كان متلافا وصاحب نجدة ** ومرتفعا عن جفن عينيه حاجبه

أي أنه لا يفعل سيئة يغض منها طرفه(٤).

---

(١) نضرة الإغريقي في نصرة القريض ، المظفر العلوي ، صـــ٣٧.

(٢) جواهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، صـــ١٠٥.

(٣) المنصف ، ابن وكيع ، صـــ٦٤.

(٤) السابق، صـــ٦٩ ، ٧٠ .

المبحث الثالث
علم البديع

كان مصطلح (البديع) في القرون الستة الأولى للهجرة يطلق على فنون البلاغة المختلفة ، وكان علماء البلاغة يتبارون في إضافة أنواع جديدة ، (فابن المعتز) كانت فنون البديع عنده خمسة ، وأضاف إليها ثلاثة عشر فناً سماها" محاسن الكلام والشعر" ، وعاصره (قدامة بن جعفر) وأضاف أنواعاً كثيرة إلى ما ذكره ابن المعتز[١].

وجاء (أبو هلال العسكري) وأورد في كتابه (الصناعتين) خمسة وثلاثين نوعاً من البديع في الباب التاسع، إضافة إلى ما ذكره من فنون في بقية الكتاب[٢] ، وكذلك(ابن المعتز) فقد أورد في كتابه (بديع القرآن) و (تحرير التحبير) أكثر من مائة فن بلاغي .

وعندما جاء (السكاكي) في القرن السادس الهجري قسم البلاغة إلى علومها المعروفة، وأفرد بعض الموضوعات وسماها وجوهاً يصار إليها لتحسين الكلام ، وقسمها إلى لفظية ومعنوية ، وكان (بدر بن مالك) هو أول من أطلق مصطلح البديع على هذه المحسنات وسماها "معرفة توابع الفصاحة" [٣] .

أما (القزويني) فقد حصر البلاغة في المعاني والبيان ، وفصل البديع عنها فصلاً تاماً وجعله قسمين؛ أحدهما يرجع إلى المعنى ،

---

(١) ينظر في ذلك كتابي البديع ، لابن المعتز ، ونقد الشعر ، لقدامة بن جعفر.

(٢) كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري .

(٣) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ، صـ٧٥.

والآخر يرجع إلى اللفظ ، وعرفه بأنه " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة" (١).

وفي إطار الكشف عن أهم الفنون البديعية التي عرض لها ابن وكيع في كتابه المنصف، نطل هذه الإطلالة ، نعرض من خلالها أهم ألوانها في إطار رؤية تاريخية للمصطلح .

(١) المثل السائر:

لم يعرض ابن وكيع هذا اللون من فنون البديع ، وإنما ذكره في أقسام الشعر، حين قال : "أما أقسام الشعر فهي : إما مثل سائر ، أو تشبيه باهر ، أو استعارة لفظها فاخر" (٢).

غير أن الثعالبي ذكره ولم يعرفه(٣) ، وأفرد له ابن رشيق بابا سماه "المثل السائر" (٤) وأدخله ابن حجة الحموي في فنون البديع ، وعرفه بقوله "أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به" (٥).

ولقد عرض ابن وكيع لهذا اللون أمثلة ، منها قول امرئ القيس :

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ** ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وكذلك قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا **ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

ومن الشعراء المحدثين قول أبي الشيص

---

(١) الإيضاح ، القزويني صـ٣٣٤.
(٢) المنصف ، ابن وكيع صـ٤٩ .
(٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعالبي ، ج١ صـ٢١٤ .
(٤) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ / ٢٨٠.
(٥) خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي، تحقيق عصام شعيتو ، مكتبة الهلال ، بيروت ج١ ، صـ١٨٦ .

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ** دعته إليها حاجة أو تطرب[١].

أما ابن أبي الإصبع فقد درس "المثل السائر" في كتاب له سماه (درر الأمثال) جمع فيه أمثالاً من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشعر العرب وجعله ضمن باب التمثيل[٢] .

(٢) المطابقة :

هي التضاد والطباق والتطبيق والتكافؤ والمقاسمة[٣] وقد أعجب بها ابن وكيع ، وعدها من محاسن البديع ، ونقل اختلاف العلماء في معناها وذلك من خلال ما رواه عن الأخفش بقوله : "قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش – وكان من العلماء بالشعر ، وقد سئل عن الطباق فقال أجد قوماً يختلفون في الطباق ؛ فطائفة تزعم – وهي الأكثر – أنه ذكر الشيء وضده يجمعهما اللفظ الواحد بهما إلا المعنى؛ وطائفة تخالف ذلك وتقول : هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد ، مثل قول زياد الأعجم :-

ونبئتهم يستصرخون بكاهل ** وللؤم فيهم كاهل وسنام

فقوله (كاهل) للقبيلة ، وقوله (كاهل) للعضو هو عندهم المطابقة ، وقال هذا هو التجنيس، ومن ادعى أنه طباق فقد ادعى خلافاً على الأصمعي والخليل، فقيل له: أفكانا يعرفان هذا؟ فقال : يا سبحان الله ! وهل مثلهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه؟ "[٤].

---

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٤٩ .
(٢) ينظر بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع ، تحقيق د. حفني شرف ، نهضة مصر للطباعة صـ٨٧ .
(٣) ينظر / معجم المصطلحات البلاغية ، د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون . طبعة (٢٠٠٧) صـ٦٦
(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥٥ ، ٥٦ .

وما ذكره ابن وكيع من خلاف بين العلماء في تعريف المطابقة ، يؤكد بلاشك – عمق ثقافته ، وأنه لم يكن في منأى عما يحدث على الساحة الأدبية والنقدية ، فقد عرض الخلاف الذي دار بين العلماء في معنى المطابقة.

فذكر رحمه الله – أن رأى جمهور العلماء أن معنى المطابقة الجمع بين المعنى وضده في كلام واحد ، وأكد أبو هلال العسكري هذا الرأي بقوله : قد أجمع الناس عليه [١].

أما قدامة بن جعفر فيري أن المقصود بها إيراد لفظين متشابهين في البناء والصيغة ، مختلفين في المعنى[٢] ، وهذا المعنى الذي أطلقه قدامة على المطابقة هو ما عرف عند العلماء باسم التجنيس أو المجانسة ، أما الجمع بين المعنى وضده في كلام واحد فقد أطلق عليه قدامة (التكافؤ) وقد مثل له بقول عنترة العبسي :

حلو الشمائل وهو مر باسل ** يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

وذكر أن قول العبسي (مر وحلو) تكافؤ[٣].

أما المجانسة عنده ، فقد خصها في حالة أن اللفظين قد تغاير معناهما، وتجانسا في اللفظ على سبيل الاشتقاق فقط مثل قول زهير:

كان عيني وقد سال السليل بهم ** وجيرة ماؤهم لو أنهم أمم

وذكر أن (سال السليل) مشتركان في الاشتقاق وهذا هو المجانس[١] ووافقه في ذلك ابن الأثير[٢] ، وعارضه الآمدي[٣] ، وابن سنان الخفاجي[٤] وابن أبي الإصبع[٥].

---

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٢٣٨

(٢) ينظر / نقد الشعر ، قدامه بن جعفر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٠، صـ١٦٢.

(٣) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٤٨ .

وابن وكيع قد سار في نقده على رأي الجمهور ، موضحاً قيمة المطابقة بين ألوان البديع ، فقال :"وأحسن محاسن البديع المطابقة ، ويتلوها في الحسن المجانسة، وقد سبق العرب إلى ذلك ، فمن ذلك قول الفرزدق :

لعن الإله بني كليب إنهم ** لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نهاق حميرهم ** وتنام أعينهم عن الأوتار

والمطابقة في شعر المحدثين كثيرة ، من ذلك قول أبي تمام في الشيب:-

له منظر في العين أبيض ناصع ** ولكنه في القلب أسود أسفع

ومنها قول دعبل :

لا تعجبي يا سَلمُ من رجل ** ضحك المشيب برأسه فبكى[٦] .

فالمطابقة في بيتي الفرزدق جاءت بين قوله (لا يغدرون ، ولا يفون) في بيته الأول ، وبين قوله (يستيقظون ، وتنام أعينهم) في البيت الثاني ، أما في بيت أبي تمام فالمطابقة بين (أبيض وأسود) بمعناهما الحقيقي وفي بيت دعبل كانت المطابقة بين (ضحك وبكى).

ومن النماذج التي أوردها ابن وكيع للمطابقة – أيضا – قول عمرو بن كلثوم "وهو من الطباق المستحسن :-

بأنا نورد الرايات بيضا ** ونصدرهن حمرا قد روينا

---

(١) السابق ، صـ ١٦٣.
(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، ج١ صـ٢٨٣
(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، تحقيق السيد صقر ، دار المعارف ، ج١ ، صـ٢٧٢
(٤) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، صـ١٨٨.
(٥) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع صـ١١١.
(٦) المنصف ، ابن وكيع صـ ٥٧ ، ٥٨ .

ونقدها بقوله ولو قال عمرو :

من الأسل الظماء يردن بيضا ** ونصدرهن حمرا قد روينا

كان أبدع بيت للعرب في الطباق ؛ لأنه يكون قد طابق بين (الإيراد والإصدار) و (البياض والحمرة) و (الظمأ والري) وقد تم هذا لأبي الشيص فقال :

فأوردها بيضاً ظماء صدورها ** وأصدرها بالري ألوانها حمر

فصار أخذه مغفوراً بكمال معناه " (١).

واقتراح ابن وكيع تغيير صدر بيت عمرو إلى (من الأسل الظماء يردن بيضاً) حتى يكتمل حسنه باجتماع طباقات ثلاثة كما في بيت أبي الشيص ، فالحقيقة أن بيت عمرو يفخر فيه بقبيلته ويؤكد لأبي هند أنه سيخبره عن الحقيقة ، وهي أن قبيلته يوردون أعلامهم الحروب بيضاء ويرجعونها حمراً قد رويت من الدماء ففاعل الإيراد والإصدار هنا هو القبيلة ، وهذا في مجال الفخر بالبطولة أظهر ، أما إذا عدّل صدر البيت حسب ما اقترحه ابن وكيع فيكون إسناد الإيراد للأسل الظماء، والإصدار للقبيلة ، فهنا يكون الفخر بالقوة أضعف، وبذلك فبيت عمرو بصورته أفضل.

(٣) **المجانسة :**

جاءت نظرة ابن وكيع لهذا الفن البديعي مسايراً لما سبقه ، ولذلك جاء تعريفه لها بأنها "مجئ كلمة تجانس أختها في مسموع حروفها دون معناها(٢)" وهو قريب من تعريف ابن

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) السابق ، صـ٥٨

المعتز لها ، إذ عرفها بقوله " أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام" (١).

وأورد ابن وكيع نماذج لها من شعر القدماء والمحدثين ، فمن الأول قول امرئ القيس.

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ** ليلبسني من دائه ماتلبسا

ومثله لجرير :

ومازال معقولاً عقال عن الندى سلطان سلطان ومازال محبوسا عند الخير حابسُ(٢)

والبيتان كلاهما فيه جناسان ، فالمجانسة في قول امرئ القيس بين (طموح والطماح) ، وبين (يلبسني وتلبس) ، وفي بيت جرير بين (معقولاً وعقال) و (محبوساً وحابس) ، والمجانسة في كلا البيتين مما يطلق عليه البلاغيون جناس الاشتقاق ، وهو " أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق"(٣) ، وسماه السيوطي "المقتضب"(٤).

وقد ضرب ابن وكيع نماذج للمجانسة في أشعار المحدثين منها قول عبد الله بن طاهر:-

وإني للثغر المخوف لكالئ ** وللثغر يجري ظلمه لرشوف(٥).

والمجانسة بين (ثغر) الذي يخشى إغارة العدو منه ، و (ثغر) الذي هو فم المحبوبة، وهو من الجناس التام، وسماه البلاغيون

(١) كتاب البديع ، ابن المعتز ، ٢٦
(٢) المنصف ابن وكيع صـ٥٨.
(٣) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، صـ ٣٨٩.
(٤) شرح المرشدي على عقود الجمان ، السيوطي ، ج٢ صـ١٤٧.
(٥) المنصف ، ابن وكيع صـ٥٩ .

المستوفي والمماثل والكامل[١] وزعم الحاتمي أن هذا التجنيس أفضل تجنيس وقع لمحدث[٢].

(٤) رد أعجاز الكلام على صدره :-

عرفه ابن وكيع بقوله : "وهو أن يبتدئ الشاعر بكلمة في البيت ثم يعيدها في عجزه أو نصفه ، ثم يردها في النصف الآخر"[٣]، مؤكداً أن هذا اللون باب واسع [٤]، وذكر " أن بعض الأدباء قد لقبوا هذا الفن بـ(الترديد) ، وبعضهم يسميه (التصدير) " [٥].

ومن النماذج التي أوردها قول" زهير":-

من يلق يوما على علاته هرما ** يلق السماحة منه والندى خلقا

وقول الفرزدق :-

أصدر هموك لا يقتلك واردها ** فكل واردة يوما لها صدر

وقول أبي حية النميريَّ :-

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ** تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا [٦]

[٦]

وإطلاق ابن وكيع "الترديد" و "التصدير" على "رد أعجاز الكلام على صدره" هو جماع لعدة آراء ذهب إليها البلاغيون على اختلاف أزمانهم ، فمنهم من ذهب إلى أن الثلاثة يطلقون على مسمى واحد كأسامة بن منقذ حين قال : "باب الترديد ، ويسمى التصدير ، اعلم أن

(١) معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب صـ٢٧١.
(٢) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج١ صـ٣٢٣.
(٣) المنصف ، ابن وكيع صـ٦١.
(٤) السابق ، صـ٦٢ .
(٥) السابق صـ٦١ .
(٦) السابق صـ٦٠ ، ٦١

الترويد هو رد أعجاز البيوت على صدورها ، أو ترد كلمة من النصف الأول في النصف الثاني "[١] .

ومنهم كابن الأثير من جعل "رد الأعجاز على الصدور" أو "التصدير" شيئاً واحداً ، وجعلهما من باب التجنيس ، فقال : "ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه (رد الأعجاز على الصدور) خارجاً عن باب التجنيس ، وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه" [٢].

وخالفه في هذا السكاكي[٣] والقزويني[٤]، وشراح التلخيص[٥] ، ، إذ اعتبروا أن "رد الأعجاز على الصدور" من المحسنات اللفظية ، وقد أفردوه عن التجنيس.

أما ابن رشيق فقد فرق بين"الترديد" و "التصدير" ، إذ جعل "الترديد" من المجانسة ، وعقد له باباً، وعرفه بقوله : "وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه"[٦]، ثم أتى ببيت زهير السابق.

(٥) **المقابلة:**

عرفها ابن وكيع بتعريف قدامة منسوباً إليه، فقال : "وذكر جعفر بن قدامة عن أبيه قدامة الكاتب – وكان من جهابذة الشعر – أن المقابلة هي أن يضع الشاعر معاني يعتمد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة ؛ فيأتي في الموافق بما يوافق ،

(١) البديع في الشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ٥١.
(٢) المثل السائر ، ابن الأثير، ج١ صـ٢٥١.
(٣) ينظر مفتاح العلوم ، السكاكي ، صـ٦٤.
(٤) ينظر : الإيضاح ، القزويني ، صـ٣٩٠.
(٥) ينظر : شروح التلخيص ، ج٤ صـ٤٣٣.
(٦) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـ٣٢٣.

والمخالف بما يخالف على الصحة ، أو يشترط شروطا ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرط ، وفيما يخالفه بأضداد ذلك . قلت له فأنشدني أحسن ما قيل فيه ، فقال قوله :

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح ** وفي ومطوي على الغل غادر

فجعل بإذاء (ناصح) (مطوياً على الغل) ، وبإزاء (وفي) (غادراً) " [١]

وأورد ابن وكيع أمثلة أخرى للمقابلة منها قول "الطرماح بن جهم:

أسرناهم فأنعمنا عليهم ** وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ** ولا أدوا لحسن يد ثوابا

فجعلوا بإزاء (أن سقوا دماءهم التراب وقاتلوهم) (أن يصبروا) ، وبإزاء (أن ينعموا عليهم) (أن يثيبوا)" [٢].

واختلفت آراء البلاغيين عند حديثهم عن المقابلة ، وعقد لها ابن رشيق باباً غير باب المطابقة، وأشار إلى أنها تجئ في الأضداد عندما يتجاوز الطباق ضدين[٣] ، والسكاكي أدخلها في المحسنات المعنوية بعد أن فصلها عن المطابقة[٤] ، وأدخلها ابن الأثير في المطابقة ، وتكلم عنها قدامة وهي عنده من أنواع المعاني[٥]، وتابعه في ذلك القزويني[٦]، القزويني[٦]، وتكلم عنها قدامة بن جعفر وهي عنده من أنواع المعاني[٧]

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٦٧ .
(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٦٧ .
(٣) مفتاح العلوم ، السكاكي صـ٢٠٠
(٤) العمده ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٥ .
(٥) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ابن الأثير، ت د. مصطفى مصطفى جواد وأخر بغداد (١٩٥٦م) صـ٢١٢.
(٦) الإيضاح ، القزويني صـ٣٤١ .

المعاني[١] ، أما النويري[٢]، والحموي[٣]، فذهبا إلى أن المقابلة أعم من المطابقة.

(٦) **الإغـــــراق:-**

ذكره ابن وكيع وقال عنه : "هذا باب يسميه المحـدثون (الإغـراق) ويسمى (الغلو) ... (والغلو) يراد به المبالغة في مجـيء الشـاعر بمـا يدخل في المعدوم ، ويخرج من الموجود"[٤].

وعلماء البلاغة يختلفون فيما بينهم حـول مصـطلحي (الإغـراق) و (الغلو) ، فمنهم من يوحد بينهما ويجعلهما شيئاً واحداً كابن رشـيق[٥]، والنويري[٦]، ومنهم من يفرق بينهما كابن أبي الإصبع[٧]، وابن الأثيـر الحلبي[٨].

ويعرض ابن وكيع موقف الأدباء والنقاد والبلاغيين من تـذوق هـذا الفن ، فيقول: "وطائفة من الأدباء يستحسنونه ، ويقولون أحسن الشـعر أكذبه، .... وقد أبت طائفة من العلماء استحسان هذا الجنس لمـا كـان بخلاف الحقائق، ولخروجه عن اللفظ الصادق "[٩].

ويبدو أن ابن وكيع كان متردداً في رأيه حول قبـول هـذا الفـن أو رفضه، فبعد أن أعلن أنه يميل إلى رأي الطائفة الأولى التي استحسنته ، ويرفض ما ذهبت إليه الطائفة الثانية الرافضة له بقولـه : "ومـا أتـوا

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر صـ١٥٢.
(٢) نهاية الأرب ، النويري ، ج٧ صـ٨٩ .
(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ، أبو بكر علي بن حجة الحموي ، صـ٤٧.
(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٨٧.
(٥) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٦٠ .
(٦) نهاية الأرب ، النويري ، ج٧ صـ ١٤٩.
(٧) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع صـ٣٢٣.
(٨) جواهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي صـ١٣٥.
(٩) المنصف ، ابن وكيع صـ٧٨ .

بشيء ، لأن الشعراء لا يلتمس منهم الصدق، وإنما يلتمس منهم حسن القول ، والصدق يلتمس من أخبار الصالحين ، وشهود المسلمين"[١] نراه يتراجع عن هذا ويعلن تأييده المبالغة الممكنة ، ويعيب المبالغة المستحيلة بقوله:"وللشعراء مبالغتان ممكنة ومستحيلة ، والممكن أحسن عند كثير من الأدباء من المستحيل ، فمن ذلك قول القائل (أشجع السلمى):

منعت مهابتك القلوب كلامها ** بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

فبالغ وأحسن ، وادعى ممكناً في الهيبة ، وأراد أبو نواس المبالغة في الهيبة فقال ما أسرف فيه ، وهو :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ** لتخافك النطف التي لم تخلق

فهذا الكلام وإن أمكن المنتصر له أن يقول : قد قيل أحسن الشعر أكذبه، وإنما يريد الشاعر أن يخرج عن حد الموجود إلى حد المفقود، ليدرك بوصفه الغاية ويجاوز النهاية ، فأراد أبو نواس أن يدل على أن المخلوق من الممدوح على نهاية الخوف إذا كان يطلق الخوف على من لم يخلق ، ولا يجوز عليه الأمن والخوف. قلنا له : هذه إرادته لا محالة ، ولكن إرادة الشاعر الذي قبله عند من حمد الاقتصاد، وفضل هذا الممكن أفضل"[٢] .

فابن وكيع يقبل قول أشجع السلمى ويحكم عليه بالحسن ، بينما يرى في قول أبي نواس إسرافاً يبعده عن القبول ، ثم عرض نماذج للإغراق ، منها قول مهلهل بن ربيعة:

فلولا الريح أسمع من بحجر ** صليل البيض تقرع ، بالذكور.

---

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٧٨ .

(٢) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٩٠ ، ٩١.

وجعله من (الإفراط) وذلك لأن ، "بين حجر والوقعة مسافة بعيدة."[١] ورأي صاحبنا أن وقوع (كأنما) في أسلوب الإغراق يخرجه عن حد المحال، ويقربه من الصدق ويجعله مقبولاً ، ففي موازنة عقدها بين رجز لأبي النجم العجلي في وصف فرس، وبيت لخلف الأحمر في وصف ثور وحشي فقال : "قال بعض الأعراب في صفة فرس :

جاء كلمح البرق جاء ما طره
تسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الأرض منه حافره

سرقه خلف الأحمر ، فقال في ثور وحشي:-

فكأنما جهدت أليته ** ألا تمس الأرض أربعه.

ووقوع كأنما ها هنا يخرجه عن حد المحال، وهو خبر أن أربعه لا تمس الأرض ، فكأنه أقسم على ذلك ، فهو مجتهد في أن يبرَّ اليَّتة ، وكان الشاعر الأول أشد إغراقاً، والثاني أقرب إلى الصدق من الأول، وأكثر توقِّياً"[٢].

(٧) **التقسيم** :-

تكلم عن هذا ابن وكيع في كتابه (المنصف) ، وروى في تعريفهجواب(على بن هارون) عندما سئل عنه، فقال : "هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ماابتدأ به ويستوفيه ، فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلا أورده، كقول بشار :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ** وتدرك من نجى الفرار مثالبه
فراحوا فريق في الإسار ومثله ** قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

(١) السابق ، صـ٨١

(٢)المنصف ، ابن وكيع ، صـ٨٠.

وليس في أحوال من يقع به الطعن، ودارت رحي الحرب عليه غير ما ذكر"[١].

وعلق ابن رشيق على هذين البيتين بقوله : "فالبيت الأول قسمان : إما موت ،وإما حياة تورث عاراً ومثلبة، والبيت الثاني ثلاثة أقسام: أسير، وقتيل، وهارب ؛ فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر"[٢].

وعدّ عبد القاهر التقسيم من النظم الجيد [٣]، وأدخله السكاكي في المحسنات البديعية[٤]، ودرسه قدامة تحت عنوان (صحة التقسيم)[٥]، ووافقه أبو هلال العسكري في هذا الاسم[٦] وأورده ابن سنان الخفاجي بعنوان (الصحة في التقسيم)[٧] وذكره ابن أبي الإصبع تحت عنوان (صحة الأقسام)[٨]، وعرضه ابن رشيق باسم (التقسيم)[٩] مطابقاً في ذلك ذلك ابن وكيع.

(٨) التسهيم :ـ

أورده ابن وكيع في كتابه ، وذكر أن (على بن هارون) هو مخترع هذا اللقب ، وذلك عندما سئل عنه "فأجاب بجواب لم يبرزه بعبارة جلية ، إلا أن مفهومه : أن صفة المسهم أن يسبق السامع إلى

(١) السابق صـ٦٥ ، ٦٦
(٢) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٢١
(٣) دلائل الإعجاز ، صـ ٧٤.
(٤) مفتاح العلوم ، السكاكي ، صـ٢٠١.
(٥) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٤٩.
(٦) الصناعتين ، أبو هلال العسكري صـ٣٤١
(٧) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، صـ١٦٥ .
(٨) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع صـ١٧٣.
(٩) العمدة ، ابن رشيق ٢ /٢٧.

قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه . وقال أحسن ما قيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

فأقسمت ياعمرو لو نبهاك ** إذا نبها منك داء عضالا
إذا نبها ليث عريسة ** مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهوله ** بوجناء حرف تشكي الكلالا
فكنت النهار بها شمسه **وكنت دجى الليل فيه الهلالا [1]

وذكر ابن رشيق أن "قولها :(مفيتاً نفوساً ومفيداً مالاً) ، فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ، ولما ذكرت الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجعلته قمراً" [٢].

ولم يرق تسميه هذا الفن بالتسهيم لابن وكيع ، وقال إن هذا "اللقب غير دال على المعنى لفظه ،ورأى الملّقب لم يقصد غير الإغراب به، وهذا النوع الذي ذكره هو من الشعر ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك، ويسمى (المطمع)، أي من يسمعه يطمع في قول مثله ، وهو من ذلك ببعيد" [٣].

وهذا الفن قد اختلف البلاغيون حول اسمه ، فقد درسه قدامة بن جعفر وسماه (التوشيح)[٤]، وتبعه أبو هلال العسكري في هذا الاسم ، ولكنه قال : وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمى (تبيينا) لكان أقرب[٥].

(١) المنصف ، ابن وكيع صـ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) العمدة ابن رشيق ج٢ صـ٣١ ، ٣٢ .
(٣) المنصف ، ابن وكيع، صـ٦٩.
(٤) نقد الشعر ،قدامة بن جعفر ، صـ١٦٧.
(٥) الصناعتين، العسكري ، صـ٣٠٢.

أما ابن رشيق وعلى بن هارون فقد أطلقا عليه (التسهيم) [١]، ورأي ابن الأثير أن تسميته (إرصاداً) أولى[٢]، وتبعه في ذلك القزويني ، وقال إنه يسمى (التسهيم) أيضاً [٣].

(٩) الاستثناء (المدح بما يشبه الذم)

عرضه ابن وكيع بإيجاز ، وقال : "سماه بعض الأدباء (الاستثناء) ، وعبر عنه ابن المعتز بأن قال : (تأكيد المدح بما يشبه الذم) ، فمن ذلك قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ** بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الآخر :

فلا تبعدن إلا من السوء إنني **إليك وإن شطت بك الدار نازع.[٤]

وذكر له نماذج أخرى.

وقد تحدث أبو هلال العسكري عنه في باب البديع ، فقال : "والاستثناء على ضربين ، الضرب الأول أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه، فتستثنى بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك"[٥] وذكر أمثلة منها قول النابغة الذبياني ، وهو الذي سبق ذكره عند ابن وكيع، وهذا الضرب هو الذي سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم.

---

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٣٢ .
(٢) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ صـ٣٥٠.
(٣) الإيضاح ، القزويني ، صـ٣٤٧.
(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٧١ ، ٧٢ .
(٥) الصناعتين ، العسكري صـ٣٩٦.

والضرب الآخر: "استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان"[١] ، ومثل له العسكري بعدة نماذج منها البيت الثاني الذي ذكره ابن وكيع.

وهذا الضرب أخرجه الباقلاني من الاستثناء ، [٢] وتابعه ابن رشيق، وقال : "ومن أصحاب التآليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الربيع بن ضبيع الفزاري:

فنيت وما يفنى صنيعي ومنطقي ** وكل امرئ إلا أحاديثه فاني

وليس من هذا الباب عندي ، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط" [٣]

(١٠) **حسن الخروج :**

وهو أحد الألوان البديعية التي تحدث عنها ابن وكيع في كتابه المنصف ، وقال عنه إنه "في شعر القدماء قليل، وفي شعر المحدثين أكثر ، فمن ذلك قول حسان :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ** فنجوت منجي الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ** ونجا برأس طمرة ولجام[٤]

والبيتان من قصيدة لحسان بن ثابت قالها في معركة بدر ، عيَّر فيها الحارث بن هشام لفراره من المعركة ، وقد اعتذر الحارث عن فراره بأبيات قالها ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، واستشهد بأجنادين [٥].

ثم أورد ابن وكيع أمثلة من شعر المحدثين ، وقدم لها بما حكاه "على بن هارون قال : سألت أبي عن أحسن تخلّص تخلص منه شاعر إلى

---

(١) السابق ، صـ٣٩٧.
(٢)ينظر / إعجاز القرآن ، الباقلاني صـ١٦٠.
(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ صـ٥٠ بتصرف يسير.
(٤) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٨٢
(٥) ينظر / المنصف ، هامش المحقق صـ٨٢ .

مدح أو ذم ، فقال هذا مذهب تفرد به المحدثون ، وقل ما يتفق الإحسان لمحدث فأما ما وجدت أهلي مجمعة على حسنه في التوصل إلى المدح ؛ فكقول محمد بن يوسف :-

مازال يلثمني مراشفه** ويعلني الإبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ** وبدا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته ** وجه الخليفة حين يمتدح [١]

وقال ابن وكيع: "ومن أحسن ذلك عندي قول أبي تمام :-

لا والذي هو عالم أن النوى ** صَبرٌ وأن أبا الحسين كريم
مازالت عن سَنَنِ الضمير ولا غدت ** نفسي على إلف سواك تحوم

وذكر أبياتاً للبحتري ، ومسلم بن الوليد، وابن الجهم ، وأبي العتاهية[٢]، وختم بهذا اللون البديعي الفنون البديعية التي عرض لها في كتابه ، وعقب بقوله : "وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر : فائقه ومقصره ، وأطلعتك على سرائر رذله ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بعدل " [٣].

وليس ابن وكيع هو أول من أطلق على هذا اللون البديعي "حسن الخروج" وإنما سبقه إلى ذلك الجاحظ [٤]،وثعلب[٥] ، وتلميذه ابن المعتز [٦]، أما النويري[٧] ، وشهاب الدين الحلبي[٨]،فقد أطلقا عليه "حسن التخليص".

---

(١) المنصف ، ابن وكيع ، صـ٨٢ ، ٨٣.
(٢) السابق صـ٨٣ ، ٨٤
(٣) السابق صـ٨٥ .
(٤) البيان والتبيين الجاحظ ، ج٣ صـ٣٦٦.
(٥) قواعد الشعر ، ثعلب ، صـ٥٠
(٦) البديع ، ابن المعتز ، صـ٦٠
(٧) نهاية الأرب ، النويري ، ج٧ صـ١٣٥.
(٨) حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، صـ٢٥٤.

ولقد كثرت الأسماء التي أطلقها البلاغيون على هذا المحسن البديعي ، منها : "براعة التخلص" وهو الاسم الذي أطلقه التبريزي [١] ، والبغدادي[٢] ، وابن أبي الإصبع[٣] ، ومنهم من اقتصر على " التخلص" التخلص" كابن الأثير[٤] ، والقزويني[٥] وابن الأثير الحلبي[٦] ، ومنهم من أطلق عليه "التخليص" كابن الزملكاني[٧] ، ومنهم من أسماه "التخليص والخروج " كأسامة بن منقذ[٨] ، وجاء ابن رشيق القيرواني فجعل اسمه " التوسل والخروج"[٩] ،أما السلجماسي فأطلق عليه " التوجيه والخروج" [١٠].

(١) الوافي في العروض والقوافي ، صـ٢٨٥.
(٢) قانون البلاغة ، محمد بن حيدر البغدادي، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة (١٩٥٤) صـ ٤٥٢ ، ضمن رسائل البلغاء.
(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، صـ٤٣٣.
(٤) الجامع الكبير ، ابن الأثير ، صـ١٨١.
(٥) الإيضاح ، القزويني ، صـ٤٣٢.
(٦) جواهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي ، صـ١٥٧.
(٧) التبيان في علم البيان ، المطلع على إعجاز القرآن ، عبد الواحد الزملكاني ت: د. أحمد مطلوب وآخر ، بغداد (١٩٦٤م) ، صـ١٨٤.
(٨) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ت: د. أحمد بدوي وآخر ، مطبعة مصطفى مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، صـ٢٨٨.
(٩) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ صـ٢٣٦ .
(١٠) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السلجماسي ، ت: علال الغازي ، الرباط ، صـ٤٧٢ .

الخاتمة

تناول هذا البعث عرض وتصنيف آراء ابن وكيع النقدية ، التي تمثل المقياس الجمالي لنقده في كتابه (المنصف) ، وإظهار جهده في هذا المنحنى البلاغي ، وإبراز ما يكتز به من رؤى نقدية.

ووضح من البحث أن ابن وكيع لم يأخذ حظه في الجانب البحثي ، وعانى كثيراً من إهمال المؤرخين وأصحاب كتب التراجم ، فجاءت الكتابة عنه إشارات لا تتعدى سطوراً قليلة ، فكان لابد من الاجتهاد في الترجمة.

كما أوضحت الدراسة تأثر ابن وكيع بجو الصراعات الأدبية والنقدية في عصره ، بجانب تأثره بالحركتين الأدبية والنقدية ، وكذا النهضة الثقافية في المشرق ، فقد استطاع أن يقيم جسوراً قوية بينه وبين التراث العربي وخاصة المصادر الأدبية والنقدية ، ونتاج الشعراء والكتاب ، فتذوق محاسنه ، وهضم مضامينه ، وتمرس بروائعه ، وجعله جزءاً من كيانه الثقافي دون أن يفقد شخصيته.

وأكدت الدراسة تمتعه بنظرة فنية جمالية ، وهي في الواقع تمثل مذهبه الفني ، وذوقه الأدبي والنقدي معاً ، فعرض كثيراً من المجالات التي اتصلت بها ملكة التصوير الفني من تشبيه ، واستعارة ، وإشارة ، وإطناب ، والتفات ، وتجنيس ، ومطابقة ، وتقسيم ... وغير ذلك من الألوان البلاغية التي تمثل علوم البلاغة .

واهتمام ابن وكيع بهذه الألوان من الصنعة الفنية يؤكد أن البلاغة أداة مهمة من أدوات النقد ، تتحد معه ليتبين من خلالهما محاسن الأدب ومساوئه ، وتنكشف وجوه كماله ونقصه ، ومواطن جماله وقبحه ، وهذه

المنهجية متمشية مع النظرة التي كانت شائعة في عصره وقبله ، فقد كان النقاد يتعرضون في نقداتهم الأدبية لمباحث بلاغية.

وأخيراً فإني آمل أن تكون هذه الدراسة قد فتحت مجالاً دراسياً جديداً ، كما آمل أن تبلغ هذه الدراسة غايتها التي تمنيتها ، وأن يكون الإنجاز بحجم الطموح ، والله من وراء القصد ، فهو خير مسئول وأعظم مأمول .

المصادر والمراجع

* أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة صبيح ، الطبعة السادسة (١٩٨٢) .

* الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ، عبد العزيز مزروع ، مطبعة العلوم (١٩٥٠).

* إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف (القاهرة) .

* الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين (بيروت) ، الطبعة الحادية عشرة

* الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، طبعة دار الثقافة (بيروت) ، الطبعة الأولى.

* الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، سلسلة الذخائر (القاهرة).

* ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار العهد الجديد للطباعة ، ط الثانية (١٩٥٨).

* ابن وكيع التنيسي ، شاعر الزهر والخمر ، د. حسين نصار ، مكتبة مصر ١٩٥٣م.

* الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق : جماعة من علماء الأزهر الشريف (القاهرة) .

* البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : د. أحمد بدوي وآخر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

* بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع ، تحقيق د. حفني شرف ، نهضة مصر للطباعة.

* البرهان في علوم القرآن ، بدر الديم بن محمد بن الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث.

* البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، سلسلة الذخائر (القاهرة).

* تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين (بيروت) ، الطبعة الثانية.

* التبيان في علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن ، عبد الواحد الزملكاني ، تحقيقد. أحمد مطلوب وآخر ، بغداد (١٩٦٤م) .

* تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (١٣٨٣هـ) .

* الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ضياء الدين بن الأثير ،تحقيق د. مصطفى جواد وآخر ، بغداد (١٩٥٦م).

* جواهر الكنز ، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير ، منشأة المعارف (الإسكندرية).

* حسن التوسل في صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، تحقيق: د. أكرم عثمان يوسف ، بغداد .

* حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : د. جعفر الكتاني ، (بغداد) ، طبعة (١٩٧٩م).

* الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة).

* خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تحقيق عصام شعيتو ، مكتبة الهلال بيروت

* دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي (القاهرة).

* ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ، دار الفكر بيروت.

* ديوان المتنبي بشرح العكبري ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، دار المعرفة بيروت.

* سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، مطبعة صبيح (القاهرة) طبعة ١٩٦٩م.

* شرح المرشدي على عقود الجمان ، السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر) (١٣٤٨هـ).

* شرح مقامات الحريري ، الشريشي ، طبعة بولاق (مصر) ، الطبعة الثانية.

* الصاحبي ، أحمد بن فارس ، تحقيق : السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر (القاهرة).

* الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف (مصر).

* الصبغ البديعي في اللغة العربية ، د. أحمد إبراهيم موسى ، طبعة وزارة الثقافة (مصر).

* الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: هلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الخانجي القاهرة ١٩٥٢.

* الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، سلسلة الذخائر ، (القاهرة).

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تـح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية (مصر) .
* عيار الشعر ، ابن طبا طبا ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف (١٩٨٠م)
* قانون البلاغة ، محمد حيدر البغدادي ، مطبعة محمد علي صـبيح ، (القاهرة) ١٩٥٤. ضمن رسائل البلغاء.
* الكامل ، المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبـراهيم ، دار نهضـة مصر.
* كتـاب البـديع ، عبـد الله بـن المعتـز ، اعتنـاء : إغنـاطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة (بيروت) ط الثالثة (١٩٨٢) .
* كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، دار الفكر.
* لسان العرب ، ابن منظور المصري ، تحقيق : عبد الله علي الكبيـر وآخرين، طبعة دار المعارف (القاهرة).
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضـياء الـدين) ، تحقيق: د. أحمد الحوفي والدكتور بـدوي طبانـة دار نهضـة مصـر (١٩٥٩م).
* مجاز القرآن ، أبو عبيدة بن المثنى ، مكتبـة الخـانجي ، القـاهرة (١٩٥٤م).
* المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بـن مالـك ، مطبعة محمد علي صبيح (القاهرة).
* معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار المأمون (مصر) ط (١٩٣٦م)
* معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر بيروت.

* معجم المصطلحات البلاغية ، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون ، طبعة ٢٠٠٧م.

* مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، المطبعة الأدبية (مصر) ، الطبعة الأولى (١٣١٧هـ)

* المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السلجماسي ، تحقيق : علال الفازي ، الرباط.

* المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره، ابن وكيع التنيسي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار قتيبة (دمشق) ط ١٩٨٢م.

* الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، تحقيق : السيد صقر، دار المعارف (القاهرة).

* نضرة الإغريض في نصرة القريض ، المظفر العلوي ، تحقيق : د. نهى عارف الحسن ، دمشق.

* النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق: د. محمد زغلول سلام وآخر ، دار المعارف (القاهرة) ، الطبعة الثالثة.

* نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى .

* نقد النثر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : د. طه حسين وحسن العبادي، دار الكتب المصرية (١٩٣٣م).

* نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد النويري ، طبعة دار الكتب المصرية.

* نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، مطبعة صبيح (القاهرة) (١٣١٧هـ).

* هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر بيروت ، ط ١٩٨٢م.

* الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة وآخر ، (دمشق)

* وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة).

* يتمية الدهر ، الثعالبي ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية (بيروت) ط الأولى (١٩٧٩م).